سورة العاديات

[١٠٣٢] أخرج البزار وابن أبي حاتم والحاكم(١) عن ابن عباس قال: بعث رسول الله [ﷺ] خيلاً ولبث شهراً لا يأتيه عنها خبر فنزلت: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾(٢).

* * *

[١٠٣٢] (١) ورواه الواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٩) من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) سورة العاديات: الآية (١).

(١٠٠) سورة العاديات مكية وآياتها إحدى عشرة

سورة العاديات مكية ، وهي تتحدث عن خيل المجاهدين في سبيل الله ، حين تغير على الأعداء ، فيسمع لها عند عَدْوها بسرعة صوتٌ شديد ، وتقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار ، وتثير التراب والغبار ، وقد بدأت السورة بالقسم بخيل الغُزاة – إظهاراً لشرفها وفضلها عند الله – على أن الإنسان كفور لنعمة الله تعالى عليه ، جحودٌ لآلائه وفيوض نعمائه ، وهو معلنٌ لهذا الكفران والجحود بلسان حاله ومقاله ، كما تحدثت عن طبيعة الإنسان ، وحبه الشديد للمال ، وختمت السورة الكريمة ببيان أن مرجع الخلائق إلى الله للحساب والجزاء ، ولا ينفع في الآخرة مال ولا جاه ، وإنما ينفع العمل الصالح .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العاديات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[١]

قوله تعالى:[2] **والعاديات ضبحا**، إلى آخره. قال علي كرم الله وجهه[3] وعبد الله رضي الله عنهما: هي الإبل، وقال ابن عباس رضي الله عنه وغيره من أهل التأويل: هي الخيل؛ غير أن عليا رضي الله عنه قال: ذلك يومَ بَدْرٍ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ذلك في الحج.[4] ومن قال: هي الخيل، قال ذلك في سَرِيّة بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبطأ عليه خبرها، فاغتمَّ[5] لذلك[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل صلوات الله عليه بخبرها على ما ذكر ووُصف فَسُرّ بذلك المؤمنون.

فإن كان في أمر السرية والخيل على ما قاله ابن عباس رضي الله عنه[7] فجهة القسم بذلك يحتمل وجوها. أحدها أنه من علم الغيب إذ لا يَعلم بحالهم، وما وُصف من أمر الخيل لا يكون إلا بالوحي من السماء أو بمن شهد ذلك. فإذا لم يحضرهم أحد ممن شهدها

---

[1] ر – سورة العاديات؛ ن م: ذكر أن سورة والعاديات مكية؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية.

[2] ر: وقوله تعالى؛ ن – قوله تعالى.

[3] ر – وجهه؛ ن ث – كرم الله وجهه.

[4] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠١/٨.

[5] ن: فاعتمر.

[6] ر م – لذلك.

[7] ث: عنهما.

ثم أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر عندهم على ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا بذلك أنه رسول الله وأنه إنما عرف بالوحي من الله تعالى إليه،[1] وذلك من أعظم آيات الرسالة.

أو أن يكون القسم[2] بما ذَكر من شدة الخيل وقوتها وحِدَّة بَصَرها حيث عَدَتْ في ليل مظلم لا قمر فيه ولا نورَ عَدْوًا تَخرج[3] النارُ من شدة عَدْوها من الحجارة التي تضرب بحوافرها، ما لا يقدر الإنسان العَدْوَ في مكان مُسْتوٍ[4] فضلا أن يقدر على ذلك من الصعود والهبوط وما ذكر من إثارة النقع من شدة عدوها وتوسطها[5] في العدو.

أو يذكر موافقة مرادهم وحصول غرضهم[6] في الإغارة على عدوّهم في أغفلِ ما يكون العدو وهو وقتُ الصبح.

ثم القسم بقول:[7] **والعاديات**، وما ذكر من الموريات وغيره هو صفة العاديات ونعوتُها، وفيه بِشارات ثلاث.[8] أحدها أنه لم يَحدُث لهم حادثة.[9] والثاني الإغارة على العدو. والثالث أنهم قد توسطوا العدو.

ومن قال: هي الإبل وذلك في أمر الحج، يذكر سرعة سيرها وشدة عَدْوها في الليلة[10] المظلمة التي فيها الأودية والهبوط والصعود.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾[٢]

ثم قوله: **فالموريات قدحا**، على هذا التأويل أي تضرب الحجر بالحجر فتخرج[11] منه النار من شدة سيرها وعَدْوها، وفي الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا.

---

[1] ر م – إليه.
[2] ر ث م – القسم.
[3] ر ن م: يخرج؛ ث: عدوا فيها يخرج.
[4] ر ن: مستوي.
[5] ن: وبوسطها.
[6] ن: عرصهم.
[7] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.
[8] جميع النسخ: بشارة ثلاثة. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: لم يحدث بهم حادثه.
[10] ر م: في الليل.
[11] جميع النسخ: أي يضرب الحجر بالحجر فيخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾[٣]

وقوله تعالى: **فالمغيرات صبحا**، على هذا التأويل يقول بعضهم: نزولهم في تلك الغارات والأودية في وقت الصبح. والأشبه أن يكون خروجهم من تلك الغارات والأودية في ذلك الوقت، لأن ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقتُ الْمُقام، أو يكون قد استقبلهم العدوّ هنالك ومن أراد بهم الشر، فيكون المغيرات على الإغارة عليهم إن كان ثمةَ[١] عدو.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾[٤] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾[٥]

فوسطن به جمعا، على هذا التأويل الجمع في الحج، وهو الجمع المعروف. ومن قال: ذلك في الخيل، يكون توسّطهن[٢] في جمع العدوّ.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[٦]

ثم الذي وقع به القسم قوله[٣] تعالى: **إن الإنسان لربه لكنود**، أي الإنسان لنعم ربه[٤] لكفور لا يشكرها. وهو أن الإنسان[٥] يذكر مصائبه وما يصيبه من الشدة في عمره أبدا، وينسى جميع ما أنعم الله عليه، و[يظن] أن لا يفارقه طَرْفَةَ عينٍ. ولذلك قال الحسن: الكنود هو الذي يعدّ المصائب وينسى النعم.[٦] وقيل: الكنود القتور البخيل[٧] الشحيح في الإنفاق. ويجب أن يكون وصف كل إنسان ما ذكر، لكن المؤمن يتكلف شكر نعم الله تعالى ويجتهد في ذلك، ويصبر على المصائب، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا،[٨] [وقوله: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ]،[٩] وهو كل إنسان، ثم استثنى الْمُصَلِّينَ،[١٠] منهم وهم المؤمنون؛ أي كذلك خلق وطُبع كل إنسان، لكن المؤمن يتكلف إخراج نفسه من ذلك الطبع الذي[١١] أنشئ عليه

---

[١] ر ث م: ثم.
[٢] ن: بوسطهن.
[٣] ن: وقوله.
[٤] ن: أي الإنسان لربه.
[٥] م: وهو الإنسان.
[٦] *تفسير الطبري*، ٣٥٣/٣٠.
[٧] ن: والبخيل.
[٨] سورة المعارج، ١٩/٧٠.
[٩] جميع النسخ: وخلق عجولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ. سورة الأنبياء، ٣٧/٢١.
[١٠] سورة المعارج، ٢٢/٧٠.
[١١] ر ث م - الذي.

[٩١٩و] وطبع إلى غيرها من الطبائع / كالبهائم والسباع التي طَبْعُها النفور من الناس بالاستيحاش عنهم، ثم تصير[١] بالرياضة ما يستقر عندهم ويجيبهم عند دعوتهم.

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[٧]

وقوله تعالى: **وإنه على ذلك لشهيد،** قال بعضهم: إن ذلك الإنسان على ما فعله في الدنيا لشهيد في الآخرة على جميعه،[٢] أي يشهد ذلك ويعلمه، كقوله: بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ.[٣] وقال بعضهم: **وإنه**، أي ذلك الإنسان لبخله وامتناعه عن الإنفاق، **لشهيد**، أي يتولى حفظ ماله وإحصاءه بنفسه، لا يثق بغيره. وقال بعضهم: **وإنه**، يعني الله تعالى **على ذلك لشهيد**، أي عالم يحصيه ويحفظه، كقوله: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.[٤]

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وإنه لحب الخير لشديد**، أي ذلك الإنسان لشديد الحب للمال، فذكر بخله وشحه في المال في ترك الإنفاق والبذل. وعلى ذلك طُبع كل إنسان على ما ذكرنا، لكن المؤمن يتكلف إخراج نفسه مما طبع بالرياضة ويجتهد في الإنفاق.[٥] والحب هاهنا حب إيثار، أي يؤثر لنفسه.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[٩] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور**، يقول -والله أعلم-: فهلا يعلم قدرة[٦] ربه وسلطانه وحكمته في إنشائه أنه[٧] يستخرج ما في القبور ويحييهم. أو يكون قوله:[٨] **أفلا يعلم**، أي فيعلم إذا بعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور.

---

[١] جميع النسخ: ثم يصير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[٢] ر م: على ما جمعه؛ ث: على ما جميعه.
[٣] سورة القيامة، ١٤/٧٥.
[٤] سورة الكهف، ٤٩/١٨.
[٥] ر ث م: بالإنفاق.
[٦] م: قدره.
[٧] ر م: آية.
[٨] ر ث م - قوله.

*وحصل ما في الصدور، يقول: فهلا يعلم أيضا أنه يميز ما في الصدر ويبين ويُظهر [٩١٩و س١٣
ما فيها، لا يُترك كذلك[1] غيرَ مميَّز ولا مبين، بل يُظَهر ويميَّز، كقوله: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ.[2]* ٩١٩و س١٤]
*وفي قوله تعالى: **وحصل ما في الصدور**، دلالة أن حصول الأعمال وخلوصها وما [٩١٩و س١٥
يثاب عليها ويعاقَب بالقلوب وبالنيات، لا بنفس الأعمال، حيث قال: **وحصل ما في الصدور**.[4]* ٩١٩و س١٦]

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **إن ربهم بهم يومئذ لخبير**، أي إن ربهم يومئذ لخبير بما كان منهم في الدنيا.* ثم قوله:[7] **إن ربهم بهم يومئذ لخبير**، أي عن علم[8] له بذلك يأخذهم ويجزيهم بما يجزيهم.[9]*

قال أهل اللغة[11] وأبو عوسحة: ضَبْحًا،[12] الضبح صوت في الصدر، ضَبَحَ يَضْبَحُ ضَبْحًا فهو ضَابِحٌ. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا،[13] أي هيّجن الغبار بحوافرهن، والنقع الغبار، والنقوع جماعة. فَوَسَطْنَ،[14] من التوسط، أي صِرن في الوسط. وكَنُود[15] كفور. وحُصِّلَ،[16] أي اختُبِر، يقال: حصّلت: أي اختبرتُ.

---

[1] ث: لذلك.
[2] سورة الطارق، ٩/٨٦.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٩و/ سطر ١٣-١٤.
[4] ر ث م - وبالنيات لا بنفس الأعمال حيث قال وحصل ما في الصدور.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٩١٩و/سطر١٥-١٦.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٩و/ سطر ١٣-١٤.
[7] ر ث م - ثم قوله.
[8] ر م: عن علمه.
[9] ر م: بأخذهم ويجزيهم مما يجزيهم؛ ن - بما يجزيهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٩١٩و/سطر١٥-١٦.
[11] ن: اللغه.
[12] ث - الضبح. الآية ١ من هذه السورة.
[13] الآية ٤ من هذه السورة.
[14] الآية ٥ من هذه السورة.
[15] الآية ٦ من هذه السورة.
[16] الآية ١٠ من هذه السورة.

وقال بعضهم والقتبي: وَالْعَادِيَاتِ،[1] الخيل، والضبح، صوت حُلوقها[2] إذا عَدَتْ. وقيل: الضبح والضبع واحد في السير؛ يقال: ضَبَحتِ الناقة، وضبعت. فَالْمُورِيَاتِ،[3] أي أَوْرتِ[4] النارَ بحوافرها. والأرض الكنود[5] التي لا تُنبت[6] شيئا. وقال: بُعْثِرَ،[7] أي قُلب[8] فجعل أسفلها أعلاها. وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ،[9] أي مُيِّز[10] ما فيها من الخير والشر والشك[11] واليقين.[12]

والله أعلم.

[1] الآية ١ من هذه السورة.
[2] ث: خلوقها.
[3] الآية ٢ من هذه السورة.
[4] ر م: أوريت.
[5] الآية ٦ من هذه السورة.
[6] ر ن م: لا ينبت.
[7] الآية ٩ من هذه السورة.
[8] جميع النسخ: بعثرت أي قلبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[9] الآية ١٠ من هذه السورة.
[10] ر م: اختير.
[11] ر م – والشك.
[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القارعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الْقَارِعَةُ﴾[١] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[٣]

قوله تعالى: **القارعة**، {قال:} **القارعة**،[2] عندهم هي الداهية الشديدة من الأمور، وهي في هذا الموضع وصفٌ[3] لشدة هول[4] يوم القيامة. وهو من الله تعالى تذكير لعباده وتعجيب لهم عما يكون في ذلك اليوم من الأهوال في أحوال وأفعال.[5] وسمى الله تعالى[6] في كتابه ذلك اليوم بما يكون فيه من اختلاف الأحوال، نحو قوله: ٱلْحَاقَّةُ،[7] و الْوَاقِعَةُ،[8] وما أشبه ذلك. فكذلك قوله عز وجل: **القارعة**، تذكير لهم بما وصف من حال ذلك اليوم وشدته، ليتفكروا في العواقب ويتدبروا ما يستقبلهم في الأواخر من العذاب فيمتنعوا بذلك عما نهاهم الله تعالى عنه.

---

[1] ر – سورة القارعة؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية.

[2] م: قوله تعالى القارعة فالقارعة.

[3] ر: وصفا.

[4] ث + ذلك.

[5] ر م: في ذلك اليوم من الأحوال والأفعال.

[6] ث: وسمى الله سبحانه وتعالى.

[7] سورة الحاقة، ١/٦٩.

[8] سورة الواقعة، ١/٥٦.

ثم إن الله تعالى خلق في بني آدم نفسا يُدرك بها الشهوات واللذات في الدنيا، وعقلا يتذكر به[1] عواقب الأمور وأواخرُها، فيزيده[2] ذلك تيقظا[3] وتبصرا. ثم العقل مرةً يدعوها إلى نفسه حتى يميل إلى ما يدعوه في جزاء[4] ما أُطْمِعَ في العاقبة،[5] والنفس مرة تدعو[6] إليه فيصير هواه وميله فيما يتلذذ من الشهوات في دنياه. وعلى ذلك تأويل قوله: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[7] أي رحمه[8] فعصمه[9] عن اختيار السوء، أو رحمه حتى جعل هواه فيما يوجبه العواقبُ من الجزاء والثواب. فكذلك ذكر الله تعالى عباده بما يستقبلهم من الأهوال[10] في ذلك اليوم ليُعملوا[11] عقولهم في أفكاره والتذكرِ عنه، فيزدجروا عما زجرهم عنه، أو يتذكروا عما وعدهم من الجزاء في ذلك اليوم فيزدادوا بذلك حرصا في الخيرات.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[٤]

وقوله تعالى: **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**، اختلفوا في تأويله من وجوه، ولكنه في الحاصل يرجع إلى معنى واحد. فمنهم من قال: أي كالجراد المنتشر حين أرادت الطيران، ومنهم من قال: كالجراد الذي يموج بعضهم في بعض، ومنهم من قال: **كالفراش المبثوث**، [٩١٩ظ] الذي يتهافت في النار فيحترق. وكل ذلك يؤدي معنى الحيرة / والاضطراب من هول ذلك اليوم. وأصل ذلك قوله تعالى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ،[12] فكأن الله تعالى قال: إنهم يصيرون في الحيرة من هول ذلك اليوم وشدته كالطائر الذي لا يدري أين يطير وأين يبيت وأين ينزل؟[13]

---

[1] ن: يتذكر بها.
[2] جميع النسخ: ويزيده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[3] ث: سقطا.
[4] م: في آخر.
[5] ث: في الآخرة.
[6] ر: ومرة يدعو؛ ن ث م: يدعو.
[7] سورة يوسف، ٥٣/١٢.
[8] جميع النسخ: أي يرحمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[9] ر ث م: ويعصمه.
[10] ر م: من الأحوال.
[11] م: ليعلموا.
[12] سورة الحج، ٢/٢٢.
[13] ن: لا تدري أين يطير وأين تبيت وأين تنزل.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وتكون الجبال كالعهن المنفوش**، قال[١] بعضهم: كالصوف المصبوغ،[٢] وقال بعضهم: كالمندوف من الصوف. فإن كان على التأويل الأول فمعناه -والله أعلم- أن الجبال في ذلك اليوم تتلون[٣] ألوانا من شدة ذلك اليوم تَلوّنَ[٤] العهن، ألا تراه يقول: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً،[٥] وقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا،[٦] فكذلك هذا على ذلك المعنى. وإن كان على التأويل الآخر فمعناه أن الجبال مع شدتها وصلابتها تصير في الرخاوة والضعف من هول ذلك اليوم كالصوف المندوف إذ ذلك أضعف أحواله. وقال قتادة: شبّههم بغنم لا راعي لها، ذَكر العهن كناية عن الغنم.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[٦] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾[٨]

وقوله تعالى: **فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية**، اختلفوا في تأويل الميزان من وجوه.[٧] ولكن أقربها عندنا وجهان. أحدهما أن يكون المراد من قوله: **ثقلت موازينه**،[٨] جملة المؤمنين، وقولِه تعالى: **وأما**[٩] **من خفت موازينه**، جملةَ الكفار. ويكون الوجه في ذلك أن المؤمن لما عظّم حق الله تعالى وأقام حدوده كان له ميزان وقيمة وخطر[١٠] عند الله تعالى في ذلك اليوم، والكافرَ لما ترك ذلك خَفّ وزنه وقيمته وخطره. وقد يُطلَق -والله أعلم-[١١] هذا الكلام على معنى الجاه والمنزلة، يقال: لفلان عند فلان وزن وقيمة، وليس [لفلان][١٢] عنده ذلك الوزن، فكذلك هذا.

---

[١] ن: كان.
[٢] ر م: المصنوع.
[٣] جميع النسخ: يتلون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[٤] جميع النسخ: بلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تَمُرّ مَرّ السَّحاب﴾ (سورة النمل، ٨٨/٢٧).
[٦] سورة طه: ١٠٥/٢٠.
[٧] ث + أحدها.
[٨] ر م + من.
[٩] ن - وأما.
[١٠] ن: وخطره.
[١١] ن - والله أعلم.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.

والوجه الثاني من وزن السرائر التي لم يُطلع الله تعالى ملائكته[1] الذين يكتبون أعمال بني آدم ذلك. ومعلوم أن ذلك إنما يحصل من المؤمنين دون الكفرة. وقد وصفنا مسألة الميزان وبيناها،[2] فلذلك اختصرنا الكلام في ذا الموضع. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فهو في عيشة راضية**، منهم من قال: مَرْضِيَّة يرضى أهل الجنة بتلك[3] العيشة فهي مرضية.[4] ومنهم من قال: ذات رضا، كقوله: مَاءٍ دَافِقٍ،[5] أي ذات انْدِفَاقٍ. ومنهم من قال:[6] إنه أضاف الرضاء إلى العيش لأنه به يُرضَى.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فأمه هاوية**، منهم من قال: سَمّى النار أُمًّا للكافر لأنه إليها يأوِي، ومنهم من قال: المراد من الأم أم رأسه أي يُلقَى في جهنم على أم رأسه منكوسا. وقوله تعالى: **هاوية**، أي يهوي به بحيث لا يكون له ثبات ولا قرار.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **نار حامية**، أي تُحميه[7] وتُنضجه.[8] ومنهم من قال: **نار حامية**، أي شديدة الحر. *والله أعلم*.[9]

[1] ر ش م: ملائكة.
[2] ر: ويثبت أهل. انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية، «الميزان».
[3] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[4] جميع النسخ: فهو مرضية. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الطارق، ٨٦/٦.
[6] ن + سمى النار أما للكافر.
[7] ر م: يحميه.
[8] جميع النسخ: وينضجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن + بالصواب.

سورة العاديات

إحدى عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ ﴾

اعلم أن الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدت، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة، ولكنه صوت نَفَس، **ثم اختلفوا في المراد بالعاديات على قولين:**

الأول: ما روي عن علي عليه السلام وابن مسعود أنها الإبل، وهو قول إبراهيم والقرظي، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ فَسَأَلَنِي عَنِ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَفَسَّرْتُهَا بِالْخَيْلِ، فَذَهَبَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ تَحْتَ سِقَايَةِ زَمْزَمَ فَسَأَلَهُ وَذَكَرَ لَهُ مَا قُلْتُ، فَقَالَ: ادْعُهُ لِيْ فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: تُفْتِي النَّاسَ بِمَا لاَ عِلْمَ لَكَ بِهِ؟! وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لأَوَّلَ غَزْوَةٍ فِي الإِسْلاَمِ بَدْرٌ وَمَا كَانَ مَعَنَا إِلاَّ فَرَسَانِ، فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ وَفَرَسٌ لِلْمِقْدَادِ، وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا الإِبِلُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى مُزْدَلِفَةَ، وَمِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، يَعْنِي إِبِلَ الْحَاجِّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَرَجَعْتُ عَنْ قَوْلِي إِلَى قَوْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَيَتَأَكَّدُ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا رَوَى أُبَيٌّ فِي فَضْلِ السُّورَةِ مَرْفُوعًا: (مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ مَنْ بَاتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَشَهِدَ جَمْعًا) وعلى هذا القول: ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ أن الحوافر ترمي بالحجر من شدة العَدْو فتضرب به حجرًا آخر فتوري النار، أو يكون المعنى الذين يركبون الإبل وهم الحجيج إذا أوقدوا نيرانهم بالمزدلفة ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ الإغارة سرعة السير وهم يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين إلى منى ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ يعني غبارًا بالعَدْو. وعن محمد بن كعب: النقع ما بين المزدلفة إلى منى ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥] يعني مزدلفة لأنها تسمى الجمع لاجتماع الحاج بها، وعلى هذا التقدير، فوجه القسم به من وجوه:

أحدها: ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه في قوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ [الغاشية: ١٧] **وثانيها:** كأنه تعريض بالآدمي الكنود، فكأنه تعالى يقول: إني سخرت مثل هذا لك وأنت متمرد عن طاعتي.

وثالثها: الغرض بذكر إبل الحج الترغيب في الحج، كأنه تعالى يقول: جعلت ذلك الإبل مقسمًا به، فكيف أضيع عملك؟! وفيه تعريض لمن يرغب الحج، فإن الكنود هو الكفور، والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

القول الثاني: قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء وأكثر المحققين: أنه الخيل، وروى ذلك مرفوعًا. قال الكلبي: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى أناس من كنانة، فمكث ما

شاء الله أن يمكث لا يأتيه منهم خبر، فتخوف عليها، فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها[١]، فإن جعلنا الألف واللام في: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ للمعهود السابق، كان محل القسم خيل تلك السرية، وإن جعلناهما للجنس كان ذلك قسمًا بكل خيل عدت في سبيل الله.

واعلم أن ألفاظ هذه الآيات تنادي أن المراد هو الخيل، وذلك لأن الضبح لا يكون إلا للفرس، واستعمال هذا اللفظ في الإبل يكون على سبيل الاستعارة، كما استعير المشافر والحافر للإنسان، والشفتان للمهر، والعدول من الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز، وأيضًا فالقدح يظهر بالحافر ما لا يظهر بخف الإبل، وكذا قوله: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ لأنه بالخيل أسهل منه بغيره، وقد روينا أنه ورد في بعض السرايا، وإذا كان كذلك فالأقرب أن السورة مدنية؛ لأن الإذن بالقتال كان بالمدينة، وهو الذي قاله الكلبي، إذا عرفت ذلك، **فههنا مسائل:**

المسألة الأولى: أنه تعالى إنما أقسم بالخيل لأن لها في العدو من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب، فإنها تصلح للطلب والهرب والكر والفر، فإذا ظننت أن النفع في الطلب عدوت إلى الخصم لتفوز بالغنيمة، وإذا ظننت أن المصلحة في الهرب قدرت على أشد العدو، ولا شك أن السلامة إحدى الغنيمتين، فأقسم تعالى بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين، وفيه تنبيه على أن الإنسان يجب عليه أن يمسكه لا للزينة والتفاخر، بل لهذه المنفعة، وقد نبه تعالى على هذا المعنى في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] فأدخل لام التعليل على الركوب وما أدخله على الزينة، وإنما قال: ﴿ضَبْحًا﴾ لأنه أمارة يظهر به التعب وأنه يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب، فكأنه تعالى يقول: إنه مع ضعفه لا يترك طاعتك، فليكن العبد في طاعة مولاه أيضًا كذلك.

المسألة الثانية: ذكروا في انتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ وجوهًا: **أحدها:** قال الزجاج: والعاديات تضبح ضبحًا. **وثانيها:** أن يكون ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ في معنى والضابحات، لأن الضبح يكون مع العَدْو، وهو قول الفراء وثالثها: قال البصريون: التقدير: والعاديات ضابحة، فقوله: ﴿ضَبْحًا﴾ نصب على الحال.

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾

فاعلم أن الإيراء إخراج النار، والقدح الصك، تقول: قدح فأورى وقد فأصلد، ثم في تفسير الآية وجوه: **أحدها:** قال ابن عباس: يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار، مثل الزند إذا قدح، وقال مقاتل: يعني الخيل تقدحن بحوافرهن في الحجارة نارًا كنار الحباحب[٢] والحباحب اسم رجل كان بخيلاً لا يوقد النار إلا إذا نام الناس، فإذا انتبه أحد أطفأ ناره لئلا ينتفع

---

(١) لم أجده، والكلبي هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، قال الحافظ: متهم بالكذب ورمي بالرفض.
(٢) ويقال: الحباحب: طائر صغير كالذبابة، يضيء ليلاً فيظنه الرائي نارًا.

بها أحد، فشبهت هذه النار التي تنقدح من حوافر الخيل بتلك النار التي لم يكن فيها نفع، ومن الناس من يقول: إنها نعل الحديد يصك الحجر فتخرج النار. والأول أبلغ لأن على ذلك التقدير تكون السنابك نفسها كالحديد. **وثالثها:** قال قوم: هذه الآيات في الخيل، ولكن إبراؤها أن تهيج الحرب بين أصحابها وبين عدوهم، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾[المائدة: ٦٤] ومنه يقال للحرب إذا التحمت: حمي الوطيس. **وثالثها:** هم الذين يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم وطعامهم ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ﴾ هم الجماعة من الغزاة. **ورابعها:** إنها هي الألسنة توري نار العداوة لعظم ما تتكلم به. **وخامسها:** هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة، روي ذلك عن ابن عباس، ويقال: لأقدحن لك ثم لأورين لك، أي لأهيجن عليك شرًّا وحربًا. وقيل: هو المكر إلا أنه مكر بإيقاد النار ليراهم العدو كثيرًا، ومن عادة العرب عند الغزو إذا قربوا من العدو أن يوقدوا نيرانًا كثيرة، لكي إذا نظر العدو إليهم ظنهم كثيرًا. **وسادسها:** قال عكرمة: الموريات قدحًا: الأسنة. **وسابعها:** ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾ أي فالمنجحات أمرًا، يعني الذين وجدوا مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج، ويقال للمنجح في حاجته: وروي زنده، ثم يرجع هذا إلى الجماعة المنجحة، ويجوز أن يرجع إلى الخيل ينجح ركبانها، قال جرير:

وَجَدْنَا الأَزْدَ أَكْرَمَهُمْ جَوَادَا وَأَوْرَاهُمْ إِذَا قَدَحُوا زِنَادَا[١]

ويقال: فلان إذا قدح أورى، وإذا منح أورى، واعلم أن الوجه الأول أقرب لأن لفظ الإيراء حقيقة في إيراء النار، وفي غيره مجاز، ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل.

قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤﴾

أما قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ يعني الخيل تغير على العدو وقت الصبح، وكانوا يغيرون صباحًا لأنهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيئًا، وأما النهار فالناس يكونون فيه كالمستعدين للمدافعة والمحاربة، أما هذا الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد. وأما الذين حملوا هذه الآيات على الإبل، قالوا: المراد هو الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى، والسُّنة أن لا تغير حتى تصبح، ومعنى الإغارة في اللغة الإسراع، يقال: أغار، إذا أسرع، وكانت العرب في الجاهلية تقول: أشرِق ثبير كيما نغير. أي نسرع في الإفاضة.

أما قوله: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤﴾ **ففيه مسائل:**

المسألة الأولى: في النقع قولان: **أحدهما:** أنا هو الغبار. وقيل: إنه مأخوذ من نقع الصوت إذا ارتفع، فالغبار يسمى نقعًا لارتفاعه، وقيل: هو من النقع في الماء، فكأن صاحب الغبار غاص فيه، كما يغوص الرجل في الماء. **والثاني:** النقع: الصباح، من قوله عليه الصلاة والسلام:

(١) تقدمت ترجمة جرير.

«مَا لَمْ يَكُنْ نَقْعٌ وَلاَ لَقْلَقَةٌ» أي فهيجن في المغار عليهم صياح النوائح، وارتفعت أصواتهن، ويقال: ثار الغبار والدخان، أي ارتفع وثار القطا عن مفحصه، وأثرن الغبار، أي هيجنه، والمعنى أن الخيل أثرن الغبار لشدة العدو في الموضع الذي أغرن فيه.

المسألة الثانية: الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه وجوه: **أحدها:** وهو قول الفراء أنه عائد إلى المكان الذي انتهى إليه، والموضع الذي تقع فيه الإغارة، لأن في قوله: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ دليلاً على أن الإغارة لا بد لها من وضع، وإذا علم المعنى جاز أن يكنى عما لم يجز ذكره بالتصريح كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] **وثانيها:** إنه عائد إلى ذلك الزمان الذي وقعت فيه الإغارة، أي فأثرن في ذلك الوقت نقعًا. **وثالثها:** وهو قول الكسائي أنه عائد إلى العدو، أي فأثرن بالعدو نقعًا. وقد تقدم ذكر العدو في قوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾.

المسألة الثالثة: فإن قيل: على أي شيء عطف قوله: ﴿فَأَثَرْنَ﴾ قلنا: على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه، والتقدير واللائي عدون فأورين، وأغرن فأثرن.

المسألة الرابعة: قرأ أبو حيوة: (فَأَثَّرْنَ) بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارًا؛ لأن التأثير فيه معنى الإظهار، أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة.

قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝﴾

ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: قال الليث: وسطت النهر والمفازة أسطها وسطًا وسطة، أي صرت في وسطها، وكذلك وسطتها وتوسطتها، ونحو هذا قال الفراء، والضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ إلى ماذا يرجع؟ فيه وجوه: **أحدها:** قال مقاتل: أي بالعدو، وذلك أن العاديات تدل على العدو، فجازت الكناية عنه، وقوله: ﴿جَمْعًا﴾ يعني جمع العدو، والمعنى صرن بعدوهن وسط جمع العدو، ومن حمل الآيات على الإبل، قال: يعني جمع منى. **وثانيها:** أن الضمير عائد إلى النقع أي: وسطن بالنقع الجمع. **وثالثها:** المراد أن العاديات وسطن ملبسًا بالنقع جمعًا من جموع الأعداء.

المسألة الثانية: قرئ: (فَوَسَّطْنَ) بالتشديد للتعدية، والباء مزيدة للتوكيد كقوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥] وهي مبالغة في وسطن، واعلم أن الناس أكثروا في صفة الفرس، وهذا القدر الذي ذكره الله أحسن، وقال عليه الصلاة والسلام: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ»[(١)]، وقال أيضًا:

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد) باب (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) (٦/ ٦٧/ ٦٨) حديث رقم (٢٨٥٠) من طريق حصين وابن أبي السفر عن الشعبي... به، ومسلم في كتاب (الإمارة) باب (الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) (٧/ ٢٢) (٩٩/ نووي) من طريق حصين عن الشعبي... به، جميعًا (زكريا، حصين، ابن أبي السفر) عن الشعبي... به.

«ظَهْرُهَا حِرْزٌ وَبَطْنُهَا كَنْزٌ» [(١)] واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به، ذكر المقسم عليه وهو أمور ثلاثة:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾

قال الواحدي: أصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذي يمنع ما عليه، والأرض الكنود هي التي لا تنبت شيئًا. ثم للمفسرين عبارات، فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة: الكنود هو الكفور. قالوا: ومنه سمي الرجل المشهور كندة لأنه كند أباه ففارقه. وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة العاصي، وبلسان بني مالك البخيل، وبلسان مضر وربيعة الكفور، وروى أبو أمامة عن النبي ﷺأن: الكنود هو الكفور الذي يمنع رفده، ويأكل وحده، ويضرب عبده [(٢)]، وقال الحسن: الكنود اللوام لربه يعد المحن والمصائب، وينسى النعم والراحات، وهو كقوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٦].

واعلم أن معنى الكنود لا يخرج عن أن يكون كفرًا أو فسقًا، وكيفما كان فلا يمكن حمله على كل الناس، فلا بد من صرفه إلى كافر معين، أو إن حملناه على الكل كان المعنى أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه من ذلك، والأول قول الأكثرين قالوا: لأن ابن عباس قال: إنها نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي، وأيضًا فقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] لا يليق إلا بالكافر؛ لأن ذلك كالدلالة على أنه منكر لذلك الأمر.

الثاني من الأمور التي أقسم الله عليها: قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الإنسان على ذلك -أي على كنوده- لشهيد يشهد على نفسه بذلك، إما لأنه أمر ظاهر لا يمكنه أن يجحده، أو لأنه يشهد على نفسه بذلك في الآخرة ويعترف بذنوبه. القول الثاني: المراد وإن الله على ذلك لشهيد قالوا: وهذا أوْلى لأن الضمير عائد إلى أقرب المذكورات والأقرب ههنا هو لفظ الرب تعالى، ويكون ذلك كالوعيد والزجر له عن المعاصي من حيث إنه يحصي عليه أعماله، وأما الناصرون للقول الأول فقالوا: إن قوله بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الضمير فيه عائد إلى الإنسان، فيجب أن يكون الضمير في الآية التي قبله عائدًا إلى الإنسان ليكون النظم أحسن.

الأمر الثالث مما أقسم الله عليه: قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الخير: المال، من قوله تعالى:

---

(١) ذكره ابن عادل في (اللباب) (١٦/ ٤٣٠) ولم أجد له إسنادًا.

(٢) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (١/ ٦٨) وابن معين في (تاريخه) (٤/ ٤٨٥) كلاهما من طريق حريز بن عثمان عن ابن هانئ عن أبي أمامة... فذكره وقال الألباني في (تعليقه على كتاب الأدب المفرد) (١/ ٦٨) حديث رقم (١٦٠) قال: ضعيف موقوفًا، وروي عنه مرفوعًا بسند واهٍ جدًا.

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١] وهذا لأن الناس يعدون المال فيما بينهم خيرًا، كما أنه تعالى سمى ما ينال المجاهد من الجراح وأذى الحرب سوءًا في قوله: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] والشديد: البخيل الممسك، يقال: فلان شديد ومتشدد، قال طرفة:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ(١)

ثم في التفسير وجوه: أحدها: أنه لأجل حب المال لبخيل ممسك. **وثانيها:** أن يكون المراد من الشديد القوي، ويكون المعنى وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف، تقول: هو شديد لهذا الأمر وقوي له، وإذا كان مطيقًا له ضابطًا.

وثالثها: أراد أنه لحب الخيرات غير هني منبسط ولكنه شديد منقبض. **ورابعها:** قال الفراء: يجوز أن يكون المعنى وإنه لحب الخير لشديد الحب، يعني أنه يحب المال، ويحب كونه محبًّا له، إلا أنه اكتفى بالحب الأول عن الثاني، كما قال: ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [ابراهيم: ١٨] أي في يوم عاصف الريح، فاكتفى بالأولى عن الثانية. **وخامسها:** قال قطرب: أي إنه شديد حب الخير، كقولك: (إنه لزيد ضروب) أي أنه ضروب زيد.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾

واعلم أنه تعالى لما عد عليه قبائح أفعاله خوَّفه، فقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: القول في: ﴿بُعْثِرَ﴾ مضى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤] وذكرنا أن معنى: ﴿بُعْثِرَتْ﴾ بُعث وأثير وأُخرج، وقرئ (بحثر).

المسألة الثانية: لقائل أن يسأل: لمَ قال: ﴿بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ ولم يقل: بعثر من في القبور؟ ثم إنه لما قال: ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾، فلم قال: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ ولم يقل: إن ربها بها يومئذ لخبير؟

الجواب عن السؤال الأول: هو أن ما في الأرض من غير المكلفين أكثر، فأخرج الكلام على الأغلب، أو يقال: إنهم حال ما يُبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل بعد البعث يصيرون كذلك، فلا جرم كان الضمير الأول ضمير غير العقلاء، والضمير الثاني ضمير العقلاء.

ثم قال تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ قال أبو عبيدة: أي مُيز ما في الصدور. وقال الليث: الحاصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب سواه، والتحصيل تمييز ما يحصل والاسم الحصيلة، قال لبيد:

وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيَهُ إِذَا حَصَلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ(٢)

---

(١) تقدمت ترجمة طرفة بن العبد.

(٢) تقدمت ترجمة لبيد.

وفي التفسير وجوه: أحدها: معنى حصل جمع في الصحف، أي أظهرت محصلاً مجموعًا. **وثانيها:** أنه لا بد من التمييز بين الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والمحظور، فإن لكل واحد ومنه قيل للمنخل: المحصل. **وثالثها:** أن كثيرًا ما يكون باطن الإنسان بخلاف ظاهره، أما في يوم القيامة فإنه تتكشف الأسرار وتنتهك الأستار، ويظهر ما في البواطن، كما قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

واعلم أن حظ الوعظ منه أن يقال: إنك تستعد فيما لا فائدة لك فيه، فتبني المقبرة وتشتري التابوت، وتفصل الكفن، وتغزل العجوز الكفن، فيقال: هذا كله للديدان، فأين حظ الرحمن؟! بل المرأة إذا كانت حاملاً فإنها تعد للطفل ثيابًا، فإذا قلت لها: لا طفل لك فما هذا الاستعداد؟ فتقول: أليس يبعثر ما في بطني؟ فيقول الرب لك: ألا يبعثر ما في بطن الأرض، فأين الاستعداد؟! وقرئ (وَحَصَلَ) بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

اعلم أن فيه سؤالات:

الأول: أنه يوهم أن علمه بهم في ذلك اليوم إنما حصل بسبب الخبرة، وذلك يقتضي سبق الجهل وهو على الله تعالى محال: **الجواب من وجهين: أحدهما:** كأنه تعالى يقول: إن من لم يكن عالمًا، فإنه يصير بسبب الاختبار عالمًا، فمن كان لم يزل عالمًا أن يكون خبيرًا بأحوالك! **وثانيهما:** أن فائدة تخصيص ذلك الوقت في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مع كونه عالمًا لم يزل أنه وقت الجزاء، وتقريره لمن المُلك؟ كأنه يقول: لا حاكم يروج حكمه ولا عالم تروج فتواه يومئذٍ إلا هو، وكم عالم لا يعرف الجواب وقت الواقعة ثم يتذكره بعد ذلك، فكأنه تعالى يقول: لست كذلك.

السؤال الثاني: لِمَ خص أعمال القلوب بالذكر في قوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ وأهمل ذكر أعمال الجوارح؟ **الجواب:** لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلب. فإنه لولا البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح، ولذلك إنه تعالى جعلها الأصل في الذم فقال: ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] والأصل في المدح فقال: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

السؤال الثالث: لمَ قال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ولم يقل: وحُصل ما في القلوب؟ **الجواب:** لأن القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله وخدمته، إنما المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر؛ ولذلك قال: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥] وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢] فجعل الصدر موضعًا للإسلام.

السؤال الرابع: الضمير في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ عائد إلى الإنسان وهو واحد. **والجواب:** الإنسان في معنى الجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٣] ولولا أنه للجمع وإلا لما صح ذلك.

واعلم أنه بقي من مباحث هذه الآية مسألتان:

المسألة الأولى: هذه الآية تدل على كونه تعالى عالمًا بالجزئيات الزمانيات؛ لأنه تعالى نص على كونه عالمًا بكيفية أحوالهم في ذلك اليوم فيكون منكره كافرًا.

المسألة الثانية: نُقل أن الحَجاج سبق على لسانه (أنّ) بالنصب، فأسقط اللام من قوله: ﴿لَّخَبِيرٌۢ﴾ حتى لا يكون الكلام لحنًا، وهذا يذكر في تقرير فصاحته، فزعم بعض المشايخ أن هذا كفر لأنه قصد لتغيير المنزل. ونُقل عن أبي السمائل أنه قرأ على هذا الوجه.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة «والعادِيات»

وهي مكِّيةٌ في قول ابنِ مسعودٍ وجابر والحسن وعكرمةَ وعطاء. ومدنِيةٌ في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة(١). وهي إحدى عَشْرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ① فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ②﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أي: الأفراس تَعْدو. كذا قال عامَّةُ المفسِّرين وأهل اللغة، أي: تعدو في سبيل الله فَتَضْبَحُ. قال قتادة: تَضْبَحُ إذا عَدَتْ، أي: تُحمحِم(٢). وقال الفرَّاء: الضَّبْح: صوتُ أنفاسِ الخيلِ إذا عَدَوْن(٣). ابن عباس: ليس شيءٌ من الدوابِّ يضْبَحُ غير الفرسِ والكلبِ والثعلب(٤). وقيل: كانت تُكْعَمُ(٥) لئلَّا تَصْهَلَ، فيعلم العدوُّ بهم؛ فكانت تتنفَّس في هذه الحال بقوّة.

قال ابن العربيّ: أَقسم الله بمحمدٍ ﷺ فقال: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وأَقْسَم بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وأَقسم بخيله وصهيلها وغُبارِها، وقَدْحِ حوافرِها النارَ من الحجر، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ الآياتِ الخمس(٦). وقال أهلُ اللغةِ:

= الشعراء٢/ ٧١٤ ، ومعجم البلدان ٥/ ٣٩٧ - ٣٩٨ . قال ياقوت: هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة. يُرى منها البحر، ولها طريقان فكل مَن سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد.

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٣ ، وزاد المسير ٩/ ٢٠٦ ، وذكر ابن الجوزي مقاتلاً بدل أنس بن مالك.

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠ ، والطبري ٢٤/ ٥٧١ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٢١٩ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٥١٧ ، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠ ، والطبري ٢٤/ ٥٧٢ دون قوله: والثعلب.

(٥) كَعَم البعيرَ: شدَّ فاه، وما يكعَم به: كِعَامٌ. القاموس (كعم).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٦١ .

وَطَعْنَةٍ ذاتِ رَشاشٍ واهِيَهْ طَعَنْتُها عندَ صُدُورِ العَادِيهْ[١]

يعني الخيل. وقال آخر:

والعادياتُ أَسَابِيُّ الدِّماءِ بها كأنَّ أعناقَها أنصابُ تَرْجيبِ[٢]

يعني الخيل. وقال عنترة:

والخيلُ تَعْلَمُ حين تَضْـبَحُ في حِياضِ الموتِ ضَبْحَا[٣]

وقال آخر:

لَستُ بالتُّبَّعِ اليمانيِّ إنْ لَمْ تَضْبَحِ الخيلُ في سَوادِ العراقِ[٤]

وقال أهلُ اللغة: وأصلُ الضَّبْحِ والضُّبَاح للثعالب، فاستُعيرَ للخيل. وهو من قول العرب: ضَبَحَتْه النار: إذا غيَّرتْ لونَه ولم تُبالِغْ فيه، وقال الشاعر:

فَلَمَّا أنْ تَلَهْوَجْنا شِواءً به اللَّهَبانُ مَقهورًا ضَبِيحا[٥]

وانضبح لونُه: إذا تغيَّر إلى السواد قليلاً؛ وقال:

عُلِّقْتُها قَبلَ انْضِباحِ لَوْني[٦]

---

(١) البيت لناجية بن جندب الأسلمي ﷺ، كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٣١١، والخزانة ٦/ ٢٠٦. قوله: ذات رشاش، الرشاش: ما تَرَشَّش من الدم والدمع. الصحاح (رشش).

(٢) البيت لسلامة بن جندل، وهو في ديوانه ص ٩٨، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٦٧. قال ابن قتيبة: الأسابي: طرائق الدم، واحدها: إسباءة. أنصاب ترجيب: جمع نصب، وهو الذي ينصب لذبحِ رجب؛ شبَّه أعناقها ـ لمَا عليها من الدم ـ بالحجارة التي كانوا يذبحون عليها.

(٣) الصحاح (ضبح)، واللسان (ضبح).

(٤) لم نقف عليه.

(٥) البيت لمضَرِّس الأسدي، كما في اللسان (ضبح)، ودون نسبة في تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٥، والصحاح (ضبح)، وأساس البلاغة (قهر)، واللسان (قهر). قال صاحب اللسان: المُلَهْوَج من الشواء: الذي لم يتم نضجه. واللَّهَبان اتِّقادُ النار واشتعالُها. وقهر اللحم: إذا أخذتْه النار وسال ماؤه.

(٦) وبعده: وجُبْتُ لمَّاعاً بعيدَ البَوْنِ، وهو في إصلاح المنطق ص ٢٧٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٢١٨، والصحاح (ضبح) والكلام منه. قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٤٣٣: عُلِّق فلانٌ امرأة: إذا أحبها. وجُبْتُ: قطعتُ وخرقت. واللمَّاع: المكان الذي يلمع فيه السراب، وإنما يريد القَفْرَ من الأرض. والبَوْن: المسافة البعيدة.

وإنَّما تَضْبَحُ هذه الحيواناتُ إذا تغيَّرتْ حالُها من فَزَعٍ أو تعبٍ أو طمع. ونصب «ضَبْحاً» على المصدر، أي: والعاديات تضبح ضَبْحًا[١]. والضَّبْحُ أيضاً: الرَّماد[٢]. وقال البَصْرِيون: «ضَبْحًا» نصب على الحال[٣]. وقيل: مصدرٌ في موضع الحال.

قال أبو عبيدة[٤]: ضَبَحَتِ الخيلُ ضَبْحًا مثل ضَبَعَتْ، وهو السير. وقال أبو عبيدة: الضَّبْحُ والضَّبْعُ: بمعنى العَدْوِ والسَّيْر[٥]. وكذا قال المبرِّد: الضَّبْحُ مدُّ أضباعِها[٦] في السَّيْر.

ورُوي أنَّ رسول الله ﷺ بعث سَرِيَّةً إلى أناسٍ من بني كِنانَة، فأبطأ عليه خبرُها، وكان استَعْمَل عليهم المنذرَ بنَ عمرو الأنصاريَّ، وكان أحدَ النقباءِ، فقال المنافقون: إنَّهم قُتلوا، فنزلت هذه السورةُ إخباراً للنبيِّ ﷺ بسلامتها، وبشارةً له بإغارتها على القوم الذين بعث إليهم[٧].

وممَّن قال: إنَّ المراد بالعاديات الخيلُ، ابنُ عباس وأنسٌ والحسنُ ومجاهد[٨]. والمراد: الخيلُ التي يغزو عليها المؤمنون. وفي الخبر: «مَن لم يَعْرِفْ حُرْمَة فرسٍ

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥٣ .

(٢) الصحاح (ضبح)، وقيده صاحب القاموس (ضبح): الضِّبح بالكسر.

(٣) والتقدير: والعاديات ضابحة. تفسير الرازي ٣٢/ ٦٤ .

(٤) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٧ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (ضبح)، ووقع في النسخ الخطية: أبو عبيد.

(٥) وعلى هذا القول تكون «ضبحاً» مصدراً مؤكِّداً لاسم الفاعل «العاديات»؛ لأن الضبح نوع من السير والعَدْو، فهو منصوب باسم الفاعل. البحر ٨/ ٥٠٣ ، والدر المصون ١١/ ٨١ .

(٦) وهي أعضادها. الصحاح (ضبع).

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٢ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٩٨ ، وزاد المسير ٩/ ٢٠٧ عن مقاتل. وأخرج نحوه البزار (٢٢٩١ ـ كشف) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢ : فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف. وقال ابن كثير عند تفسير هذه السورة: وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً غريباً جدًّا...، وذكره.

(٨) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٠ - ٥٧٢ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٧ .

الغازي، ففيه شُعبةٌ من النفاق»[١].

وقول ثان: أنَّها الإبل؛ قال أبو صالح[٢]: نازعتُ فيها عكرمةَ فقال عكرمةُ: قال ابن عباس: هي الخيل. وقلتُ: قال عليٌّ: هي الإبل في الحج، ومولاي أَعْلَمُ من مولاك[٣].

وقال الشعبيُّ: تَمارى عليٌّ وابن عباس في العاديات، فقال عليٌّ: هي الإبِلُ تعدو في الحج. وقال ابن عباس: هي الخيل، أَلَا تَراه يقول: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾، فهل تثيرُ إلَّا بحوافرها! وهل تَضْبَحُ الإبل! فقال عليٌّ: ليس كما قلت، لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ وما معنا إلَّا فرسٌ أبلقُ للمقداد، وفرسٌ لمَرْثَد بن أبي مَرْثَد[٤]. ثم قال له عليٌّ: أَتُفْتِي الناسَ بما لا تعلم! والله إن كانت لَأَوَّلَ غزوةٍ في الإسلام، وما معنا إلَّا فرسان: فرسٌ للمقداد، وفرسٌ للزُّبير، فكيف تكون العادياتِ ضبحًا! إنَّما العادياتُ الإبِلُ من عَرَفَةَ إلى المزدَلِفَةِ، ومن المزدلِفةِ إلى منى[٥]، قال ابن عباس: فرجعتُ إلى قولِ عليٍّ[٦]. وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسُّدِّي[٧]. ومنه قولُ صفِيةَ بنتِ عبد المطلب:

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) أبو صالح هو مولى أم هانئ، ووقع في النسخ بدلاً منه: مسلم، وهو خطأ.

(٣) ذكره أبو الليث ٣/ ٥٠٢، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠ - ٣٩١، وعبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٣.

(٤) أخرجه بنحوه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٣ - ٣٨٤، وما سيأتي بعده ورد في رواية أخرى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، على ما يأتي.

(٥) في النسخ: إلى عرفة، والمثبت من المصادر ـ على ما يأتي ـ وهو الصواب.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤، والحاكم ٢/ ١٠٥، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٨٣ لابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤ عن ابن مسعود وعبيد بن عمير، وأخرجه عن محمد بن كعب عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٤.

فلا والعاديات غَداةَ جَمْعٍ بأيديها إذا سَطَع الغُبارُ[١]

يعني الإبل. وسمِّيت العادياتُ لاشتقاقها من العَدْوِ، وهو تباعُدُ الأرجلِ في سرعة المشي[٢]. وقال آخر:

رأى صاحبي في العاديات نَجيبةً وأمثالَها في الواضعاتِ القوامِسِ[٣]

ومَن قال: هي الإبلُ، فقولُه: «ضَبْحاً» بمعنى ضَبْعاً، فالحاءُ عنده مُبْدَلةٌ من العين؛ لأنه يقال: ضَبَعتِ الإبلُ، وهو أن تَمُدَّ أعناقها في السير. وقال المبرِّد: الضَّبْعُ مدُّ أضباعها في السير. والضَّبْحُ أكثرُ ما يُستَعمَلُ في الخيل. والضَّبْعُ في الإبل. وقد تُبْدَلُ الحاءُ من العين.

أبو صالح: الضَّبْحُ من الخيل: الحمحمةُ، ومن الإبلِ: التنفُّس[٤].

وقال عطاء: ليس شيءٌ من الدوابِّ يَضْبَحُ إلَّا الفرسُ والثعلبُ والكلب[٥]. ورُوي عن ابن عباس[٦]. وقد تقدَّم عن أهل اللغةِ أنَّ العرب تقول: ضَبَح الثعلب، وضَبَح في غير ذلك أيضًا؛ قال تَوْبة:

ولو أنَّ ليلَى الأخيلِيةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ ودوني تُرْبةٌ[٧] وصفائحُ
لَسَلَّمْتُ تسليمَ البشاشةِ أو زَقَا إليها صَدًى من جانب القبرِ ضابحُ[٨]

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، وقال الزركشي في البرهان ٣/ ٣١٢: أنشده الغرنوي في العامريات لصفية رضي الله عنها.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٢٤.

(٣) الصحاح (عدا)، واللسان (عدا) و(وضع) وفيه: إبل عادية: ترعى الخُلَّة ولا ترعى الحمضَ. وناقة واضع وواضعة، ونوق واضعات: ترعى الحمض حول الماء. والخلة: ما حلا من المرعى، والحمض منه: ما كانت فيه ملوحة.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٥ من طريق أبي علي عن صالح ﷺ.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧١، وليس فيه: والثعلب.

(٦) سلف ص٤٢٦ من هذا الجزء.

(٧) في (ظ): جندل، وهي رواية في البيت.

(٨) ديوان توبة ٤٧ – ٤٨، والشعر والشعراء ١/ ٤٤٦، والأضداد لابن الأنباري ص ٣٢٥، وأمالي =

زَقا الصَّدى يزقو زُقَاءً، أي: صاح. وكلُّ زاقٍ صائحٌ. والزَّقْيَةُ: الصَّيحة[١].

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال عكرمةُ وعطاءٌ والضحَّاك: هي الخيلُ حين تُورِي النارَ بحوافرها[٢]، وهي سَنابِكُها. ورُوي عن ابن عباس[٣].

وعنه أيضاً: أَوْرَتْ بحوافرها غُبارًا. وهذا يخالفُ سائرَ ما رُوي عنه في قَدْحِ النار، وإنَّما هذا في الإبل. ورَوى ابنُ أبي نَجيحٍ عن مجاهد: «والعادياتِ ضَبْحًا. فالمُورِياتِ قَدْحًا» قال: قال ابن عباس: هو في القتال، وهو في الحج[٤].

ابن مسعود: هي الإبلُ تطأ الحصى، فتخرج منها النار[٥].

وأصلُ القَدْحِ الاستخراج، ومنه قَدَحْتُ العينَ: إذا أَخرجت منها الماءَ الفاسد. واقْتَدَحْتُ الزَّنْدَ. واقْتَدَحْتُ المرقَ: غَرَفْته. ورَكِيٌّ قَدُوح: تُغْتَرَفُ باليد. والقَدِيح: ما يبقَى في أسفل القِدْرِ، فيُغْرَفُ بجهدٍ. والمِقْدَحةُ: ما تُقْدَحُ به النار. والقَدَّاحةُ والقَدَّاح: الحجرُ الذي يُورِي النار[٦]. يقال: وَرَى الزَّنْدُ ـ بالفتح ـ يَرِي وَرْياً: إذا خَرَجَتْ نارُه. وفيه لغةٌ أخرى: وَرِيَ الزَّنْدُ ـ بالكسر ـ يَرِي فيهما[٧]. وقد مضى هذا في سورة الواقعة[٨]. و«قَدْحًا» انْتَصَب بما انْتَصَب به «ضَبْحًا».

= القالي ١/ ٨٧ ، والأغاني ١١/ ٢٤٤ ، والحيوان ٢/ ٢٩٩ ، وزهر الآداب ٢/ ٩٣٥ ، والحماسة البصرية ٢/ ١٠٨ ، ومنتهى الطلب ١/ ٢٣٠ ، ووقع في جميع هذه المصادر: صائح، بدل: ضابح.

(١) الصحاح (زقا).

(٢) أخرج قولهم الطبري ٢٤/ ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٥٤٤ ، وهو قطعة من حديث أخرجه البزار (٢٢٩١ - كشف) وقد سلف الكلام عليه قريباً.

(٤) كذا في النسخ، والذي أخرجه عبد بن حميد ـ كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٤ عن مجاهد قال: قال ابن عباس: في القتال، وقال ابن مسعود: في الحج، وكذا أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٠ و٥٧٤ مقطعاً من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٨ .

(٦) الصحاح (قدح).

(٧) الصحاح (ورى).

(٨) عند تفسير الآية (٧١) منها.

وقيل: هذه الآياتُ في الخيل؛ ولكنَّ إيراءَها: أنْ تُهيجَ الحرب بين أصحابها وبين عدوِّهم. ومنه يقال للحرب إذا التحمت: حَمِيَ الوَطِيسُ. ومنه قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤][١]. وروي معناه عن ابن عباس أيضًا، وقاله قتادة[٢].

وعن ابن عباس أيضًا: أنَّ المراد بالمُوريات قَدْحًا: مَكْرُ الرجال في الحرب؛ وقاله مجاهدٌ وزيد بنُ أسلم. والعربُ تقول إذا أراد الرجل أن يمكُر بصاحبه: واللهِ لَأَمْكُرنَّ بك، ثم لَأُوْرِيَنَّ لك[٣].

وعن ابن عباس أيضًا: هم الذين يغزُون، فيُوْرون نيرانَهم بالليل لحاجتهم وطعامهم[٤].

وعنه أيضاً: أنَّها نيرانُ المجاهدين إذا كَثُرتْ نارُها إرهاباً[٥]. وكلُّ مَن قَرُبَ من العدوِّ يُوقدُ نيراناً كثيرةً ليظنَّهم العدوُّ كثيراً. فهذا إقسامٌ بذلك. قال محمد بن كعب: هي النارُ تجمع.

وقيل: هي أفكارُ الرجالِ تُورِي نارَ المكرِ والخديعة[٦].

وقال عكرمة: هي أَلْسنةُ الرجالِ تُوْرِي النارَ مِن عظيمِ ما تتكلَّم به ويَظْهرُ بها من الحُجج وإقامةِ الدلائل، وإيضاحِ الحقِّ وإبطالِ الباطل[٧].

---

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥.

(٢) أخرجه عن قتادة الطبري ٢٤/ ٥٧٦.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٥١٧ عن مجاهد وزيد بن أسلم، وأخرجه عن مجاهد الفريابي، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٤، ووقع فيهما: لأقدحنَّ لك ثم لأورينَّ لك. وقول ابن عباس أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠ بلفظ: ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾ قال: هو مكر الرجل.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٧٦ - ٥٧٧.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٢٤.

(٦) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥.

(٧) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٤، وأخرجه مختصراً الطبري ٢٤/ ٥٧٧.

وروى ابن جُريج عن بعضهم قال: فالمُنْجِحاتِ أَمْراً وعملاً، كنجاحِ الزَّنْدِ إذا أُوْرِي.

قلت: هذه الأقوالُ مَجازٌ، ومنه قولهم: فلانٌ يُورِي زِنادَ[١] الضلالة. والأوّل الحقيقةُ، وأنَّ الخيل من شِدَّة عَدْوِها تَقْدَحُ النارَ بحوافرها. قال مقاتل: العربُ تسمِّي تلك النارَ نارَ أبي حُباحِب، وكان أبو حُباحِب شيخاً من مُضَر في الجاهلية، من أَبْخلِ الناس، وكان لا يُوقدُ ناراً لخبزٍ ولا غيره حتى تنام العيون، فيوقِدُ نُوَيْرةً تَقِدُ مرةً وتَخمدُ أخرى، فإن استيقظ لها أحدٌ أطفأها، كراهيةَ أن ينتفع بها أحد. فشبَّهت العربُ هذه النارَ بنارِه؛ لأنَّه لا يُنتفع بها[٢]. وكذلك إذا وقع السيفُ على البيضة فاقْتَدَحَتْ نارًا، فكذلك يسمُّونها، قال النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سُيوفَهم ... بهنَّ فلولٌ مِن قِراع الكتائبِ
تَقُدُّ السَّلُوقيَّ المضاعَفَ نَسْجُه ... وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِبِ[٣]

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾

الخيلُ تُغِير على العدوِّ عند الصُّبح؛ عن ابن عباس وأكثرِ المفسِّرين[٤]. وكانوا إذا أرادوا الغارةَ سَرَوْا ليلاً، ويأتون العدوَّ صبحاً؛ لأنَّ ذلك وقتُ غَفْلةِ الناس. ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]. وقيل: لِعزِّهم أغاروا نهارًا، و«صُبْحًا» على هذا، أي: علانيةً؛ تشبيهاً بظهور الصبح.

وقال ابن مسعود وعليٌّ رضي الله عنهما: هي الإبلُ تدفع بركبانها يومَ النَّحْرِ من

---

(١) في (ظ): نار.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣، وتفسير الرازي ٣٢/ ٦٥، وذكر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨٤ نحوه عن الكلبي.

(٣) ديوان النابغة ص ١١، وسلف البيت الأول ١٠/ ٣٠٤، والثاني ١١/ ٢١٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٨ - ٥٧٩، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٧.

جَمْعٍ إلى منًى[(١)]، والسُّنةُ ألَّا تدفعَ حتى تصبح. وقاله القُرَظِيُّ[(٢)]. والإغارةُ: سرعةُ السيرِ، ومنه قولُهم: أشرِقْ ثَبِير، كيما نُغِير[(٣)].

قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾

أي: غبارًا، يعني الخيلَ تثيرُ الغبارَ بشدَّةِ العَدْوِ في المكان الذي أغارت به. قال عبد الله بن رواحة:

عَـدِمْـتُ بُـنـيَّـتـي إنْ لـم تَـرَوْهـا ... تُـثِـيـرُ الـنَّـقْـعَ مـن كَـنَـفَـيْ كَـداءِ[(٤)]

والكنايةُ في «به» ترجع إلى المكان أو إلى الموضع الذي تقع فيه الإغارة. وإذا عُلِم المعنى جاز أن يُكْنَى عمَّا لم يَجْرِ له ذِكْرٌ بالتصريح، كما قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وقيل: «فأثرن به»، أي: بالعَدْو «نَقْعًا». وقد تقدَّم ذِكْرُ العَدْو.

وقيل: النقع: ما بين مزدلِفةَ إلى مِنًى؛ قاله محمد بن كعب القُرَظِيّ. وقيل: إنَّه طريق الوادي، ولعله يرجع إلى الغبار المثارِ من هذا الموضع[(٥)].

وفي الصحاح[(٦)]: النَّقْع: الغبار، والجمع: نِقَاع والنَّقْعُ: مَحْبِسُ الماء، وكذلك ما اجتمع في البئر منه. وفي الحديث: أنه نَهى أن يُمنع نقعُ البئر[(٧)]. والنقعُ: الأرضُ

---

(١) في النسخ: من منى إلى جمع، والمثبت من المصادر ـ على ما يأتي ـ وهو الصواب.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥١٧ عن محمد بن كعب، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٩ - ٥٨٠ عن ابن مسعود، وينظر ما سلف عن علي ﷺ ص٤٢٩ من هذا الجزء.

(٣) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥ ، وسلف ٣/ ٣٥١ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٢٥ ، ولم نقف عليه عن عبد الله بن رواحة، ونسب لحسان كما في ديوانه ص٦٠ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٢ ، ومنتهى الطلب ٦/ ٢٧٠ ، والخزانة ٩/ ٢٣١ برواية:

عَـدِمْـنـا خـيـلـنـا إن لـم تـروهـا ... تـثـيـر الـنـقـع مـوعـدُهـا كـداءُ

قال البغدادي: كَداء: الثنية التي في أصلها مقبرة مكة، ومنها دخل الزبير يومئذ (يعني يوم الفتح).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٢٥ .

(٦) مادة: (نقع).

(٧) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٧)، وابن ماجه (٢٤٧٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الحُرَّةُ الطِّينِ يَستنقعُ فيها الماءُ، والجمع: نِقاعٌ وأَنْقُعٌ، مثل: بحر وبِحار وأبْحُر.

قلت: وقد يكونُ النقعُ رفعَ الصوت، ومنه حديثُ عمرَ حين قيل له: إنَّ النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد، فقال: وما على نساء بني المغِيرة أن يَسْفِكْنَ من دموعهنَّ وهنَّ جلوسٌ على أبي سليمان، ما لَمْ يكن نَقْعٌ ولا لَقْلَقَة[١]. قال أبو عبيد[٢]: يعني بالنقع رَفْعَ الصوت، على هذا رأيتُ قولَ الأكثرين من أهل العلم، ومنه قولُ لبيد:

فـمـتـى يـنـقَـعْ صُـراخٌ صـادِقٌ يُـحْـلِـبـوهـا ذاتَ جَـرْس وزَجَـلْ[٣]

ويُروى: يَحْلِبوها أيضاً. يقول: متى سمعوا صراخاً[٤] أحْلَبوا الحرب، أي: جمعوا لها. وقولُه: يَنْقَع صُراخ: يعني رفعَ الصوت.

وقال الكسائيُّ: قولُه: نَقْعٌ ولا لقلقةٌ، النَّقْعُ: صنعةُ الطعام، يعني في المَأْتم. يقال منه: نقعْتُ أَنقَع نَقْعاً. قال أبو عبيد[٥]: ذهب بالنقع إلى النَّقيعة، وإنَّما النقيعةُ عند غيره من العلماء: صنعةُ الطعام عند القدوم من سفر، لا في المأتم.

وقال بعضُهم: يريد عمر بالنقع: وَضْعَ الترابِ على الرأس. يذهبُ إلى أنَّ النقع هو الغبار. ولا أَحْسَبُ عمر ذهب إلى هذا، ولا خافه منهنَّ، وكيف يبلغ خوفُه ذا وهو يكره لهنَّ القيام، فقال: يَسْفِكْنَ من دموعهنَّ وهُنَّ جلوسٌ. قال بعضهم: النقع: شقُّ الجيوب، وهو الذي لا أدري ما هو من الحديث[٦] ولا أعرفُه، وليس النقعُ عندي في

(١) علقه البخاري بنحوه قبل الحديث (١٩٢١)، ووصله عبد الرزاق (٦٦٨٥)، وأبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٢٧٣ .

(٢) في غريب الحديث ٣/ ٢٧٥ .

(٣) ديوان لبيد ص ١٩١ ، وغريب الحديث ٣/ ٢٧٥ . ورواية الديوان: يُحلبوه، قال شارحه: أي: يمدُّوه ويُعينوه بحلائب الخيل. والجرس: الصوت. والزجل كذلك، إلا أنَّ فيه تطريباً. أراد: كتيبة ذات جرس وزجل. والمعنى: أنهم إذا ارتفع صوت الصريخ هبوا للنجدة بكتيبة هذا حالها.

(٤) في غريب الحديث: صارخاً.

(٥) في غريب الحديث ٣/ ٢٧٤ ، وما قبله منه.

(٦) قوله: من الحديث، ليس في غريب الحديث.

هذا الحديث إلَّا الصوتُ الشديد، وأمَّا اللقلقةُ: فشِدَّةُ الصوت، ولم أسمع فيه اختلافًا.

وقرأ أبو حَيْوة: «فَأَثَّرْنَ» بالتشديد[١]، أي: أَرَتْ آثارَ ذلك. ومَن خفَّف فهو مِن أثار: إذا حرَّك، ومنه: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩].

قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾

«جَمْعًا» مفعولٌ بـ «وَسَطْن»، أي: فوسَطْنَ بركبانهن العدوَّ، أي: الجمع الذي أغاروا عليهم. وقال ابن مسعود: «فَوَسَطْن بِهِ جمعاً» يعني مُزْدلِفة[٢]. وسمِّيت جمعاً لاجتماع الناس بها. ويقال: وسَطْتُ القومَ أَسِطُهم وَسْطًا وسِطَةً، أي: صِرتُ وَسْطَهم.

وقرأ عليٌّ ﷺ: «فَوَسَّطْن» بالتشديد[٣]، وهي قراءةُ قتادةَ وابنِ سيرين[٤] وأبي رجاء؛ لغتان بمعنى، يقال: وسطْتُ القومَ ـ بالتشديد والتخفيف ـ وتَوَسَّطْتُهُمْ، بمعنًى واحد[٥]. وقيل: معنى التشديد: جَعْلُها الجمعَ قسمين. والتخفيف: صِرْنَ في وسيط الجمع[٦]، وهما يرجعان إلى معنى[٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾

هذا جوابُ القسم، أي: طُبع الإنسان على كُفْران النعمة. قال ابن عباس: «لَكَنُودٌ»: لكفورٌ جَحُودٌ لنعم الله. وكذلك قال الحسن، وقال: يذكُر المصائبَ وينسى

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٧٨ ، والمحتسب ٢/ ٣٧٠ ، قال ابن جني: هذا كقولك: أَرَيْنَ وأَبْدَيْن.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٤ .

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٨ ، والمحتسب ٢/ ٣٧٠ .

(٤) في (م): وابن مسعود.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٢ .

(٦) المحتسب ٢/ ٣٧٠ .

(٧) بعدها في (م): الجمع.

النعم[١]. أَخَذَه الشاعر فنَظَمه:

يا أيُّها الظالمُ في فِعْلِهِ   والظُّلْمُ مردودٌ على مَن ظَلَمْ
إلى متى أنْتَ وحَتَّى متى   تشكو المُصيباتِ وتنسى النعم![٢]

وروى أبو أُمامة الباهِليُّ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَنُود هو الذي يأكلُ وحدَه، ويَمنعُ رِفْدَه، ويضربُ عَبْدَه»[٣]. وروى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكم بشرارِكُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «مَن نَزَل وحدَه، ومَنَع رِفْدَه، وجَلَدَ عبدَه»[٤]. خرَّجهما الترمذيُّ الحكيم في «نوادر الأصول»[٥].

وقد روي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: الكَنودُ بلسانِ كِنْدَة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربِيعةَ ومُضَرَ: الكفور. وبلسان كِنانَة: البخيلُ السَّيِّءُ المَلَكة. وقاله مقاتل[٦]. وقال الشاعر:

كَنودٌ لِنَعماء الرجالِ ومَنْ يكن   كَنودًا لنعماء الرجال يُبَعَّدِ[٧]

أي: كفور. ثم قيل: هو الذي يكفُر اليسيرَ، ولا يشكر الكثير. وقيل: الجاحدُ

---

(١) أخرج قول ابن عباس والحسن الطبري ٢٤/ ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٢) سلف البيتان ١٧/ ٣٩٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٦ ، وابن حبان في المجروحين ١/ ٢١٢ ، والطبراني في الكبير (٧٩٥٨)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية. وفي إسناده جعفر بن الزبير، وهو متروك كما ذكر ابن كثير. وأخرجه الطبراني (٧٧٧٨) بإسناد آخر عن أبي أمامة ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢ : رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف، وفي الآخر مَن لم أعرفه. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٠)، والطبري ٢٤/ ٥٨٧ عن أبي أمامة ﷺ موقوفاً.

(٤) قطعة من حديث طويل أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد للإمام أحمد ص٣٥٩ .

(٥) ص ٢٦٧ ، وليس في مطبوعه ذكر إسناديهما، وخبر أبي أمامة فيه موقوف مختصر.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٢٥ عن الكلبي، وتفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣ عن مقاتل.

(٧) ذكره أبو حيان في البحر ٨/ ٥٠٣ ، والسمين في الدر المصون ١١/ ٨٩ ، والألوسي في روح المعاني ٣٠/ ٢١٨ .

للحق. وقيل: إنَّما سمِّيتْ كِنْدَةُ كِندَة؛ لأنَّها جحدتْ أباها. وقال إبراهيم بن هَرْمَةَ الشاعر:

دعِ البخلاءَ إنْ شَمخُوا وصَدُّوا ... وذِكْرى بُخْلِ غانيةٍ كَنودِ[1]

وقيل: الكَنود: مِن كَنَدَ إذا قَطَع، كأنَّه يقطَعُ ما ينبغي أنْ يُواصِلَه من الشكر. ويقال: كَنَد الحبلَ: إذا قطعه؛ قال الأعشى:

أَميطي تُميطي بصُلْبِ الفؤادِ ... وَصُولِ حِبالٍ وكَنَّادِها[2]

فهذا يدلُّ على القطع. ويقال: كَنَدَ يكْنِدُ كُنودًا، أي: كَفَر النعمةَ وجَحدَها، فهو كَنود. وامرأة كَنودٌ أيضاً، وكُنُدٌ مِثله[3]. قال الأعشى:

أَحْدِثْ لها تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إنَّها ... كُنُدٌ لوصلِ الزائرِ المعتادِ[4]

أي: كَفورٌ للمواصلة. وقال ابن عباس: الإنسانُ هنا الكافر، يقول: إنه لكفور[5]. ومنه: الأرضُ الكنودُ التي لا تُنبِتُ شيئًا. وقال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة[6].

قال المبرِّد: الكنود: المانعُ لمَا عليه. وأنشد لكثير:

---

(١) لم نقف عليه في ديوان إبراهيم بن هرمة، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣٢٥ ، ووقع في مطبوعه: إبراهيم بن زهير، بدل: إبراهيم بن هرمة.

(٢) ديوان الأعشى ص ١١٩ ، والصحاح (كند)، واللسان (ميط). ورواية الديوان واللسان: فميطي تميطي...، قال صاحب اللسان: ماط عني مَيْطاً ومَيَطاناً وأماط: تنحَّى وبَعُد وذهب. اهـ. وجاء في شرح البيت في الديوان: يذكر الأعشى صاحبته فيقول: لتذهب حيث تريد، فإنه لصلب الفؤاد، إنْ وَصَل حبل الود فهو خليق أن يقطعه.

(٣) الصحاح (كند).

(٤) ديوان الأعشى ص ١٧٩ . قال الشارح: تجدَّد لها وصلاً، فتجدد في وصلك قطيعة.

(٥) سلف في بداية تفسير هذه الآية.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٢٦ .

أَحْدِثْ لها تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إنها كُنُدٌ لِوَصلِ الزائرِ المعتادِ[(١)]

وقال أبو بكر الواسطيُّ: الكنود: الذي ينفق نِعَم الله في معاصي الله.

وقال أبو بكر الورَّاق: الكنودُ: الذي يرى النعمةَ من نفسه وأعوانه.

وقال الترمذي: الذي يرى النعمةَ ولا يرى المنعِم.

وقال ذو النون المصريُّ: الهَلوعُ والكَنود: هو الذي إذا مسَّه الشرُّ جَزوعٌ، وإذا مسَّه الخيرُ مَنوعٌ.

وقيل: هو الحقودُ الحسود. وقيل: هو الجَهولُ لقَدْرِه. وفي الحكمة: مَن جهل قَدْرَه هتك[(٢)] سِتره.

قلت: هذه الأقوالُ كلُّها تَرجِعُ إلى معنى الكُفْرانِ والجحود. وقد فسَّر النبيُّ ﷺ معنى الكَنودِ بخصالٍ مذمومةٍ، وأحوالٍ غيرِ محمودةٍ[(٣)]، فإنْ صحَّ فهو أعلى ما يقال، ولا يبقى لأحدٍ معه مَقال.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾

أي: وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ثناؤه على ذلك من ابن آدمَ لَشَهيد. كذا روى منصورٌ عن مجاهد، وهو قولُ ابنِ عباس[(٤)].

وقال الحسن وقتادةُ ومحمد بن كعب: «وإنَّه»، أي: وإنَّ الإنسان لشاهدٌ على نفسه بما يصنع. ورُوي عن مجاهد أيضًا[(٥)].

---

(١) ليس في ديوان كثير، وقد سلف عن الأعشى.

(٢) في (ظ): كشف.

(٣) سلف ص٤٣٧ من هذا الجزء.

(٤) ذكره عن ابن عباس الواحدي في الوسيط ٤/ ٥٤٥، وأخرجه عن مجاهد ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٧ - ٥٨٨ عن قتادة وسفيان.

(٥) أخرجه عن محمد بن كعب ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥، وذكره عن الحسن ومجاهد ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسانَ من غيرِ خلافٍ. ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]. وقال عديّ:

ماذا تُرَجّي النفوسُ من طلب الـ ـخَيْرِ وحُبُّ الحياةِ كارِبُها[١]

﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لَقَويٌّ في حبِّه للمال. ويقال: «الشديد»: لبخيل. ويقال للبخيل: شديدٌ ومتشدِّد؛ قال طَرَفة:

أَرَى الموتَ يَعْتامُ الكِرامَ ويَصْطَفي عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[٢]

يقال: اعْتَامَه واعْتَمَاه، أي: اختاره. والفاحِشُ: البخيل أيضًا. ومنه قولُه تعالى: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: البخل.

قال ابن زيد: سمَّى الله المالَ خيرًا، وعسى أن يكون شرًّا وحراماً، ولكنَّ الناس يَعُدُّونه خيراً، فسمَّاه الله خيراً لذلك. وسمَّى الجهادَ سُوءاً، قال: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] على ما يسمِّيه الناس[٣].

قال الفرَّاء: نَظْمُ الآيةِ أن يقال: وإنَّه لَشديدُ الحبِّ للخير[٤]؛ فلمَّا تقدَّم الحبُّ قال: شديد، وحذف مِن آخِرِه ذكر الحبِّ؛ لأنَّه قد جرى ذِكْرُه، ولرؤوس الآي، كقوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] والعُصُوف للريح لا للأيام، فلمَّا جرى ذِكْرُ الريح قبل اليوم، طرح من آخِرِه ذِكْر الريح، كأنه قال: في يومٍ عاصِفِ الريح[٥].

---

(١) الأغاني ٢/ ١٤٧ .

(٢) ديوان طرفة ص ٣٤ . قال النحاس في شرح المعلقات ١/ ٨٣ : يصطفي: يأخذ صفوته وهو خيرته. وعقيلة المال: أكرمه وأنفسه عند أهله.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٩ .

(٤) العبارة في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥ : وإنه للخير لشديد الحب.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦ .

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: ابنُ آدمَ ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أي: أُثير وقُلِب وبُحِث، فأُخرج ما فيها. قال أبو عبيدة: بَعْثَرْتُ المتاع: جعلت أسفلَهُ أعلاه[١]. وعن محمد بن كعب قال: ذلك حين يُبْعَثون[٢]. الفرَّاء: سمعتُ بعضَ أعرابِ بني أسد يقرأ: «بُحْثِر» بالحاء مكانَ العين[٣]، وحكاه الماورديُّ عن ابن مسعود[٤]، وهما بمعنى.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: مُيِّز ما فيها من خيرٍ وشر؛ كذا قال المفسِّرون. وقال ابن عباس: أُبرِز[٥].

وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جُبير ويحيى بن يعمُر ونصر بن عاصم: «وحَصَل» بفتح الحاء وتخفيفِ الصاد وفتحِها[٦]، أي: ظهر.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: عالمٌ لا يَخْفَى عليه منهم خافيةٌ. وهو عالمٌ بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى: أنه يجازيهم في ذلك اليوم.

وقوله: «إذا بُعثِر»، العاملُ في «إذا»: «بُعْثِر»، ولا يعملُ فيه «يَعْلَمُ»؛ إذ لا يرادُ به العِلْمُ من الإنسان ذلك الوقت، إنَّما يراد في الدنيا. ولا يعمل فيه «خَبِيرٌ»؛ لأنَّ ما بعد «إنَّ» لا يعملُ فيما قبلها. والعاملُ في «يَوْمَئِذٍ»: «خَبِيرٌ»، وإنْ فَصَلَتِ اللَّامُ بينهما؛ لأنَّ موضع اللام الابتداء. وإنَّما دخلت في الخبر لدخول «إنَّ» على المبتدأ[٧]. ويُروى أنَّ

---

(١) بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٨، وقال أبو عبيدة أيضاً ٢/ ٣٠٨: «بعثر ما في القبور»: أُثير فأخرج.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦، وقال الفراء: وهما لغتان: بحثر وبعثر.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٢٦.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٩٠.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٧٨ عن يحيى.

(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣٦ - ٨٣٧.

الحجَّاجَ قرأ هذه السورة على المنبر يحضُّهم على الغزو، فجرى على لسانه: «أَنَّ ربَّهم» بفتح الألف، ثم استدركها فقال: «خَبير» بغيرِ لامٍ[(١)]. ولولا اللامُ لكانت مفتوحة، لوقوع العلم عليها. وقرأ أبو السَّمَّال: «أَنَّ رَبَّهمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ»[(٢)]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) ذكره بنحوه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ١٦٠ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٩ .

سورة ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾

مختلفٌ فيها، وآيُها إحدى عشرةَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أقسَمَ بخيلِ الغُزاةِ تَعْدُو فتَضْبَحُ ضَبْحًا، وهو صوتُ أنفاسِها عندَ العَدْوِ، ونَصْبُه بفعلِه المحذوفِ، أو بـ(العادياتِ) فإنَّها تدلُّ بالالتزامِ على الضَّابحاتِ. أو ﴿ضَبْحًا﴾ حالٌ بمَعْنى: ضَابحَةً.

(٢) ـ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: فالتي تُورِي النَّارَ، والإيراءُ: إخراجُ النَّارِ، يقال: قَدَحَ الزَّنْدَ فأَوْرَى.

(٣) ـ ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ يُغِيرُ أهلُها على العَدُوِّ ﴿صُبْحًا﴾؛ أي: في وَقتِه.

(٤) ـ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾: فهيَّجْنَ بذلك الوقتِ ﴿نَقْعًا﴾: غبارًا، أو: صياحًا.

(٥) ـ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: فتوسَّطْنَ بذلكَ الوقتِ، أو بالعَدْوِ[١]، أو بالنَّقعِ[٢]؛ أو مُلتَبِساتٍ به[٣] ﴿جَمْعًا﴾ مِن جُموعِ الأعداءِ.

---

(١) أي: بالعَدْوِ الَّذي دلَّ عليه ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾.

(٢) قوله: «أو بالنقع»؛ أي: وَسَطْنَ بالنقع الجمعَ، أي: جَعَلْنَ الغبارَ وسطَ الجمع، فالباءُ للتعدية. انظر: «الدر المصون» (١١/ ٨٧).

(٣) قوله: «أو ملتبسات به»؛ أي: توسطن الجمع ملتبسات بالنقع، فقوله: «ملتبسات به» راجع للأخير.

رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ بعثَ خيلًا فمضَى شَهرٌ لم يأتِه مِنْهُم خَبرٌ فنزلَتْ[1].

ويحتملُ أَنْ يكونَ القسمُ بالنُّفوسِ العادِيَةِ إثرَ كمالهنَّ، المُورياتِ بأفكارهنَّ أنوارَ المعارفِ، والمغيراتِ على الهوى والعاداتِ إذا ظهرَ لهن مَبدأُ أنوارِ القدسِ، فأثَرْنَ بهِ شوقًا، فوسَطْنَ بهِ جمعًا مِن جُموعِ العِلِّيِّينَ.

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: لكَفُورٌ، مِن كَنَدَ النِّعمَةَ كُنودًا، أو: لَعَاصٍ بلُغَةِ كِندَةَ، أو: لبَخِيلٌ بلُغَةِ بني مالكٍ، وهو جوابُ القسمِ.

(٧) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: وإنَّ الإنسانَ على كُنودِه ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهَدُ على نفسهِ لظُهورِ أثرِهِ عليه،

أو: إنَّ اللهَ على كُنودِهِ لشَهيدٌ، فيكونُ وَعيدًا.

(٨) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾: المالِ، مِن قولِه[2]: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] ﴿لَشَدِيدٌ﴾: لبَخِيلٌ، أو: لقَوِيٌّ مُبالِغٌ فيه.

(٩) ـ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾: بُعِثَ ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ مِن الموتى.

وقُرِئَ: (بُحْثِرَ)[3]، و: (بُحِثَ)[4].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» (٢٢٩١)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٤/ ٦٠٨ ـ ٦١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٣). قال ابن أبي حاتم: «سألت أبا زرعة عنه فقال: هذا حديث منكر، والصحيح: عن عكرمة فقط». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٢): فيه حفص بن جميع وهو ضعيف.

(٢) في نسخة التفتازاني: «المال كقوله».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٦) عن ابن مسعود، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٩)، و«البحر» (٢١/ ٤٥٤)، عن الأسود بن يزيد.

(١٠) ـ ﴿وَحُصِّلَ﴾: جُمِعَ مُحَصَّلًا في الصُّحُفِ، أو: مُيِّزَ ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مِن خيرٍ أو شَرٍّ، وتخصيصُهُ لأنَّه الأصلُ.

(١١) ـ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ وهو يومُ القيامَةِ ﴿لَّخَبِيرُۢ﴾: عالمٌ بما أعلَنُوا وما أسرُّوا فمُجازيهِمْ[١].

وإنَّما قال: ﴿مَا﴾ ثمَّ قال: ﴿بِهِمۡ﴾ لاختلافِ شأنِهم في الحالينِ.

وقُرِئَ: (أنَّ) و(خبيرٌ) بلا لامٍ[٢].

عَن النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرَأَ ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾ أُعْطِيَ مِن الأَجرِ عشرَ حَسناتٍ بعَدَدِ مَن باتَ بالمزدلفةِ وشَهِدَ جمعَها»[٣].

***

(١) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «فمجازيهم».

(٢) قرأ بها أبو السَّمالِ: (أنَّ ربَّهم بهم يومئذٍ خبيرٌ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٨ ـ ١٧٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

سورة العاديات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾ .

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. لمّا ذكر فيما قبلها ما يقتضي تهديداً ووعيداً بيوم القيامة، أتبع ذلك بتعنيف لمن لا يستعدّ لذلك اليوم ومن آثر أمر دنياه على أمر آخرته. و«العاديات» الجاريات بسرعة. والضَّبح: تصويت جهير عند العَدْو الشديد، ليس بصهيل ولا رُغاء.

﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ الإيراء: إخراج النار، أي: تقدح بحوافرها الحجارة، فيتطاير منها النار لصكّ بعض الحجارة ببعض.

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ أي: تغير على العدوّ في الصبح. وفي هذا دليل على أن هذه الأوصاف لذاتٍ واحدة، لعطفها بالفاء التي تقتضي التعقيب.

والضمير في «به» عائد في الأول على الصبح، أي: هيجن في ذلك الوقت غباراً. وفي «به» الثاني على الضَّبْحِ. قيل: أو النقع، أي: وسطن

(١) مكية وهي إحدى عشرة آية.

النقع الجمع، فتكون الباء للتعدية. وقيل الضمير في «به»[١] يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى، وإن لم يَجْرِ له ذكر، لدلالة «والعاديات» وما بعدها عليه.

والظاهر أن المقسم به هو جنس العاديات وليست أل فيه للعهد، والمقسم عليه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾. وفي الحديث[٢] «الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رِفْدَه ويضرب عبده».

والظاهر عود الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: لشهيد على كنوده ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإن الإنسان. ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال. ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: قوي في حبّه، وقيل: لبخيل بالمال ضابط [له].

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ توقيف على ما يؤول إليه الإنسان. ومفعول لـ«يعلم» محذوف وهو العامل في الظرف أي: فلا يعلم مآله إذا بُعثر. ويجوز أن يكون «يعلم» معلّقة، والجملة المعلّقة قوله «إن ربهم»، كما تقول: علمت أنّ زيداً لقائم. فالجملة في موضع نصب ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: جُمع.

(١) ق: به معاً. وفوقها: كذا.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أُمامة، انظر ضعيف الجامع الصغير ٤ : ١٦٧.

مفردات سورة العاديات

العاديات: الجاريات بسرعة، وهو وصف، ويأتي في التفسير الخلاف في الموصوف.

الضَّبْحُ: تصويتٌ جَهيرٌ عند العَدْوِ الشديد، ليس بصَهيلٍ ولا رُغاءٍ ولا نُباحٍ، بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يَضْبَح. وعن ابن عباس: ليس يضبح من الحيوان غيرُ الخيل والكلاب. قيل: ولا يصِحُّ عن ابن عباس؛ لأنَّ الإبلَ تضبح، والأسود من الحيَّات والبوم والصَّدى[1] والأرنب والثعلب والقوس كلُّها استعملت العرب لها الضَّبح، أنشد أبو حنيفة في صفة قوس:

حنَّانةٌ من نَشَمٍ أو تَألَبِ   تَضْبَحُ في الكفِّ ضُباحَ الثَّعلَبِ[2]

وقال أهل اللغة: أصلُه للثَّعلب فاستُعير للخيل، وهو من: ضبَحَتْه النار: غيَّرَتْ لونَه ولم تُبالِغْ فيه. وانضبح لونُه: تغيَّرَ إلى السَّواد قليلاً. وقال أبو عبيدة: الضَّبْحُ والضَّبْعُ بمعنى: العَدْو الشديد[3]. وكذا قال المبرِّد: الضَّبْحُ: مَدُّ[4] أضباعِها في السَّير.

---

(١) الصَّدى: طائرٌ خُرافيٌّ زعموا أنه يخرج من رأس المقتول، ولا يزال يقول: اسقوني، حتى يؤخذ بثأره. المعجم الوسيط (صَدِي).

(٢) لم أقف على قائله، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٣ والكلام منه. والحنَّانة المُصوِّتة من القوس؛ من حَنَّت تحِنُّ. ونَشَم: شجرٌ للقِسيِّ. والتألَب: شجر. القاموس (حنن) و(نشم) و(ألب).

(٣) في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٨ والكلام منه: العدو والسير.

(٤) تصحفت في النسخ والمطبوع إلى: من، والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٨، والكشاف ٤/ ٢٧٨، وأساس البلاغة (ضبح).

القَدْح: الصَّكُّ[١]. وقيل: الاستخراج، ومنه: قَدَحْتُ العينَ: أخرَجْتُ منها الفاسدَ. والقَدَّاح والقَدَّاحة والمِقْدَحة: ما تُورَى به النَّار[٢].

أغارَ على العدوِّ: قصدَه لنَهْبٍ أو قَتْلٍ أو إسارٍ[٣].

النَّقْع: الغبار[٤]. قال الشاعر:

يَخْرُجْنَ من مُستَطارِ النَّقْعِ داميةً ... كأنَّ آذانَها أطرافُ أقلامِ[٥]

وقال ابن رواحة:

عَدِمْتُ بُنَيَّتي إنْ لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقْعَ من كَنَفَيْ كَداءِ[٦]

وقال أبو عبيدة: النَّقع: رفع الصوت[٧]. ومنه قول لبيد:

فمتى يَنْقَعْ صُراخٌ صادقٌ ... يُحلِبوها ذاتَ جَرْسٍ وَزَجَلْ[٨]

الكَنود: الكفور للنِّعمة[٩]. قال الشاعر:

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٧.

(٢) الصحاح (قدح).

(٣) في (أ) والمطبوع: أو أسرٍ.

(٤) الصحاح (غبر).

(٥) البيت لعدي بن الرقاع كما في العقد الفريد ١/ ١٦١ و٣/ ٤٦٣ وفيه: فرجات النقع، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٣/ ٦٣، وسمط اللآلئ ٢/ ٨٧٦. ونسبه صاحب الخزانة ١٠/ ٢٤٠ لعدي بن زيد.

(٦) لم أجد من نسبه لابن رواحة غير الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٤، وتابعه القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٤٣٤، والبيت لحسَّان بن ثابت، وهو في ديوانه ص٦٠، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٢، ومنتهى الطلب ٦/ ٢٧٠، والخزانة ٩/ ٢٣١، والرواية عندهم:

عَدِمْنا خيلَنا إنْ لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقْعَ موعِدُها كَداءُ

(٧) تهذيب اللغة ١/ ٢٦٣ لكن عن أبي عبيد، وهو عند أبي عبيد في غريب الحديث ٣/ ٢٧٥. والبيت الآتي فيهما.

(٨) ديوان لبيد ص١٩١، والرواية فيه: يُحْلَبوه. قال شارحه: أي: يُمِدُّوه ويُعينوه بحلائب الخيل. والجَرْس: الصوت. والزَّجَل كذلك، إلَّا أنَّ فيه تطريباً.

(٩) تهذيب اللغة ١٠/ ١٢٢.

كنودٌ لِنَعْماءِ الرِّجالِ ومَنْ يَكُنْ ... كَنوداً لِنَعماءِ الرِّجالِ يُبَعَّدِ[(١)]

وعن ابن عباس: الكَنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومُضَر: الكفور، وبلسان كنانة: البخيل السيِّئ المَلَكة. وقاله مقاتل[(٢)]. وقال الكلبي مثلَه إلَّا أنَّه قال: وبلسان بني مالك: البخيل. ولم يذكر وحضرموت[(٣)]. ويُقال: كنَدَ النِّعمة كُنوداً. وقال أبو زُبيد في البخيل:

إنْ تَفُتْني فلم أطِبْ عنكَ نَفْساً ... غيرَ أنِّي أُمْنَى بدهرٍ كَنودِ[(٤)]

حَصَّل الشيءَ: جمَعَه. وقيل: مَيَّزه من غيره. ومنه قيل للمُنْخُل: المِحْصَل[(٥)]. وحصَلَ الشيء: ظهرَ واستبان[(٦)].

* * *

سورة العاديات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤
فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ
رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾.

---

(١) لم أقف على قائله، وهو في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٧.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٧. وقول مقاتل في تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣.

(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ١٢٢.

(٤) البيت في جمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٢٤١.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٧٩ بنحوه.

هذه السورة مكيَّة في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء. مدنيَّة في قول ابن عباس وأنس وقتادة[١].

لمَّا ذكر فيما قبلَها ما يقتضي تهديداً ووعيداً بيوم القيامة أتبع ذلك بتعنيفٍ لمن لا يستعِدُّ لذلك اليوم، ومَنْ آثرَ أمرَ دنياه على أمر آخرته.

والجمهور من أهل التفسير واللغة على أنَّ العاديات هنا: الخيل تعدو في سبيل الله وتضبَحُ حالةَ عَدْوِها[٢]. وقال عنترة:

والخيلُ تكدَحُ حينَ تَضْـ ... ـبَحُ في حِياضِ الموتِ ضَبْحا[٣]

وقال عبد الله[٤] وعلي وإبراهيم والسُّدِّي ومحمد بن كعب وعُبيد بن عُمير: العاديات: الإبل. أقسم بها حين تعدو من عرفة ومن المزدلفة إذا دفعَ الحاجُّ. وبإبل[٥] غزوة بدر؛ لم يكن فيها غيرُ فرسين؛ فرسٌ للزُّبير، وفرسٌ للمقداد، وبهذا حَجَّ عليٌّ ﷺ ابنَ عباس حين تمارَيا، فرجع ابنُ عباس إلى قول عليٍّ رضي الله تعالى عنهما، وقالت صفية بنت عبد المطلب:

فلا والعادياتِ غَداةَ جَمْعٍ ... بأيديها إذا سَطَعَ الغُبارُ[٦]

وانتصب «ضَبْحاً» على إضمار فِعْلٍ، أي: يَضْبَحْنَ ضَبْحاً، أو على أنَّه في

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، وزاد المسير ٩/ ٢٠٦ وفيه: مقاتل، بدل: أنس، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٦.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٦.

(٣) الصحاح (ضبح)، والكشاف ٤/ ٢٧٧، واللسان (ضبح).

(٤) في النسخ والمطبوع: أبو عبد الله، والصواب: عبد الله: وهو ابن مسعود، وقوله أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣ و٥٧٤، وكذلك أخرجه عن إبراهيم وعبيد بن عمير. وتنظر أقوال الباقين في النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٣، وزاد المسير ٩/ ٢٠٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٩.

(٥) تحرفت في المطبوع والنسخ سوى (يه) إلى: وبأهل، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٣ والكلام منه. وينظر ما أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣-٥٧٤، والحاكم ٢/ ١٠٥.

(٦) البيت في النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٠.

موضع الحال، أي: ضابحاتٍ[١]، أو على المصدر على قول أبي عبيدة أنَّ معناه: العَدْوُ الشَّديد، فهو منصوب بـ «العاديات». وقال الزمخشري: أو بـ «العاديات»، كأنَّه قيل: والضَّابحات؛ لأنَّ الضَّبْحَ يكون مع العَدْو. انتهى. وإذا كان الضَّبْحُ مع العَدْو فلا يكون معنى «والعاديات» معنى: والضَّابحات، فلا ينبغي أن يُفسَّرَ به.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ والإيراء: إخراجُ النَّار، أي: تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النارُ لصَكِّ بعض الحجارة بعضاً. ويقال: قدَحَ فأورى، وقدَحَ فأصلَدَ، وتُسمَّى تلك النارُ التي تقدَحُها الحوافرُ من الخيل أو الإبل: نارَ الحُباحِب[٢]. قال الشاعر:

تَقُدُّ السَّلوقيَّ المُضاعَفَ نَسْجُهُ ... وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِبِ[٣]

وقيل: «فالموريات قدحا» مجازٌ أو استعارةٌ في الخيل تُشعِلُ الحرب. قاله قتادة[٤]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]. ويُقال: حَمِيَ الوَطيس: إذا اشتدَّ الحرب[٥].

وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم: المُوريات: الجماعة التي تمكر في الحرب، والعرب تقول إذا أرادت المكر بالرجل: واللهِ لا يكون ذلك ولأُورِيَنَّ لك[٦].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٨.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٧.
(٣) البيت للنابغة، وهو في ديوانه ص١١. قوله: السلوقي؛ نسبةً إلى سَلُوق؛ قرية باليمن تُنسب إليها الدروع والكلاب. والصُّفَّاح: حجارة عِراض رِقاق. والحُباحِب: ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج، ومنه: نار الحُباحِب. القاموس (سلق) و(صفح) و(حبب).
ويصف النابغة في هذا البيت السيوف أنَّها تقدُّ الدروعَ التي ضوعِف نسجُها والفارسَ والفرسَ حتى تبلغ الأرض، فتنقدح النار بها من الحجارة. الشعر والشعراء ١/ ١٧٠.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٦.
(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢.
(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢ بنحوه. وقول مجاهد وزيد بن أسلم في تفسير البغوي ٤/ ٥١٧. وقول ابن عباس أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩٠.

وعن ابن عباس أيضاً: الجماعة التي تُوري نارَها بالليل لحاجتها وطعامها[١].
وعنه أيضاً: جماعة الغُزاة تُكثِرُ النار إرهاباً[٢].

وقال عكرمة: ألسنةُ الرجال تُوري النَّارَ من عظيم ما تتكلَّم به ويظهر من الحُجج والدلائل وإظهار الحق وإبطال الباطل[٣].

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ أي: تُغير على العدوّ في الصبح، ومن قال: هي الإبل؛ قال: العرب تقول: أغار: إذا عَدا جَرْياً، أي: من مُزدَلِفةَ إلى مِنى، أو في بدر[٤].
وفي هذا دليلٌ على أنَّ هذه الأوصاف لذاتٍ واحدة؛ لعطْفِها بالفاء التي تقتضي التعقيب. والظاهر أنَّها الخيل التي يجاهَدُ عليها العدُوُّ من الكفار، ولا يُستدَلُّ على أنَّها الإبل بوقعة بدر، وأنَّه لم يكن فيها إلَّا فرسان؛ لأنَّه لم يذكر أنَّ سبب نزول هذه السورة هو وقعة بدر. ثمَّ بعد ذلك لا يكاد يوجَدُ أنَّ الإبلَ جُوهِدَ عليها في سبيل الله، بل المعلوم أنَّه لا يُجاهَدُ في سبيل الله تعالى إلَّا على الخيل في شرق البلاد وغربها.

«فأثَرْنَ» معطوف على اسم الفاعل الذي هو صلة «أل»؛ لأنَّه في معنى الفعل؛ إذ تقديرُه: فاللاتي عَدَوْنَ فأَوْرَيْنَ فأَغَرْنَ فأَثَرْنَ. وقال الزمخشري[٥] معطوف على الفعلِ الذي وُضِعَ اسمُ الفاعلِ مَوْضِعَه. انتهى. ويقول أصحابنا: هو معطوف على الاسم؛ لأنَّه في معنى الفعل.

وقرأ الجمهور: «فأثَرْنَ» «فوَسَطْنَ» بتخفيف الثاء والسين. وأبو حَيْوة وابنُ أبي عبلة بشدِّهما[٦]. وعليّ وزيد بن علي وقتادة وابن أبي ليلى بشدّ السين[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢. وأخرجه بنحوه ٢٤/ ٥٧٦-٥٧٧.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٢٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢.
(٣) زاد المسير ٩/ ٢٠٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٢. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٧ مختصراً.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.
(٥) في الكشاف ٤/ ٢٧٨، وما قبله منه.
(٦) القراءات الشاذة ص١٧٨، والمحتسب ٢/ ٣٧٠.
(٧) المصدران السابقان، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.

وقال الزمخشريُّ[(١)]: وقرأ أبو حَيْوة: «فأثَّرْنَ» بالتشديد، بمعنى: فأظهَرْنَ به غباراً؛ لأنَّ التأثيرَ فيه معنى الإظهار، أو قُلِبَ «ثَوَّرْنَ» إلى «وَثَّرْنَ»، وقُلِبَ الواو همزةً. وقُرئ: «فوَسَّطْنَ» بالتشديد؛ للتعدية، والباء مَزيدة للتوكيد، كقوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهي مبالغةٌ في «وَسَطْنَ». انتهى. أمَّا قوله: أو قُلِبَ، فتمَحُّلٌ باردٌ، وأمَّا أنَّ التشديد للتعدية، فقد نقلوا أنَّ «وسطَ» مُخفَّفاً ومُثقَّلاً بمعنى واحد، وأنَّهما لغتان، والضمير في «به» عائدٌ في الأول على الصبح، أي: هيَّجْنَ في ذلك الوقت غباراً، وفي «به» الثاني على الصبح. قيل: أو على «النَّقع»، أي: وَسَطْنَ بالنَّقع الجمعَ، فتكون الباء للتعدية، أو يكون «به» في موضع الحال، أي: وَسَطْنَ مُلْبَساتٍ بالنَّقع جمعاً من الأعداء، ويكون «وَسَطن» بمعنى «توسَّطْنَ».

وقال علي وعبد الله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ أي: الإبل، و«جَمْعاً» اسمٌ للمُزدَلِفة، وليس بجمع من الناس[(٢)]. وقال بشر بن أبي خازم:

فوَسَطْنَ جَمْعَهُمُ وأفلَتَ حاجِبٌ تحتَ العجاجةِ في الغُبارِ الأقْتَمِ[(٣)]

وقيل: الضمير في «به» معاً يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى وإن لم يَجْرِ له ذكرٌ؛ لدلالة «والعاديات» وما بعدها عليه. وقيل: يعود على «العَدْوِ» الدالِّ عليه «والعادياتِ» أيضاً[(٤)].

وقيل: المراد بالنَّقْع هنا: الصِّياح[(٥)].

والظاهر أنَّ المُقسَمَ به هو جنس العاديات، وليست «أل» فيه للعهد، والمُقسَم عليه «إنَّ الإنسان لربِّه لكنود»[(٦)].

---

(١) في الكشاف ٤/ ٢٧٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤.

(٣) البيت في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤، وهو في ديوان بشر بن أبي خازم ص١٩٢ برواية: ففَضَضْنَ، بدل: فَوَسَطْنَ.

(٤) المثبت من (يه)، وفي باقي النسخ والمطبوع يوجد تقديم وتأخير.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤ بنحوه.

وفي الحديث «الكَنود الذي يأكلُ وحدَه، ويمنَعُ رِفْدَه، ويضرِبُ عبدَه»[١]. وقال ابن عباس والحسن: هو الجحود لنِعم الله تعالى[٢]. وعن الحسن أيضاً: هو اللائم لربِّه، يعدُّ السيئات، وينسى الحسنات. وقال الفُضيل: هو الذي تُنسيه سيئةٌ واحدةٌ حسناتٍ كثيرة، ويُعامل اللهَ على عقدِ عِوَض[٣]. وقال عطاء: هو الذي لا يُعطي في النائبات مع قومه[٤]. وقيل: البخيل[٥]. وقال ابن قتيبة: أرضٌ كَنودٌ: لا تُنبتُ شيئاً[٦].

والظاهر عَوْدُ الضمير في «وإنَّه على ذلك لشهيد» أي: يشهد على كُنوده ولا يقدِرُ أن يجحدَه لظهور أمره. وقاله الحسن ومحمد بن كعب. وقال ابن عباس وقتادة: هو عائدٌ على الله تعالى، أي: وربُّه شاهدٌ عليه، وهو على سبيل الوعيد. وقال التبريزي: هو الأصحُّ، لأنَّ الضميرَ يجب عَوْدُه إلى أقرب مذكورَين، ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي[٧]. انتهى. ولا يترجَّح بالقرب إلَّا إذا تَساويا من

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٦، وابن حبان في المجروحين ١/ ٢١٢، والطبراني في المعجم الكبير (٧٩٥٨)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٥٢٥ من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعاً. وفي إسناده جعفر بن الزبير، وهو متروك: كما قال ابن حجر في التقريب.
وأخرجه الطبراني (٧٧٧٨) من طريق آخر عن أبي أمامة مرفوعاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢: فيه من لم أعرفه.
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٠)، والطبري ٢٤/ ٥٨٧ من طريق ابن هانئ، عن أبي أمامة موقوفاً. وإسناده منقطع؛ لأن ابن هانئ ـ واسمه حمزة كما ذكر ابن معين في تاريخه (٤٥٠٧) ـ لم يسمع من أبي أمامة.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٦-٤٣٧. وأخرجه عنهما الطبري ٢٤/ ٥٨٤-٥٨٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤. وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٥ و٥٨٧، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٦١).

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٢٥، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٨.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣ عن مقاتل، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٥، والكشاف ٤/ ٢٧٨ عن الكلبي.

(٦) زاد المسير ٩/ ٢١٠.

(٧) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٧. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥١٤-٥١٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٩.

حيث المعنى، والإنسان هنا هو المُحدَّثُ عنه، والمُسنَدُ إليه الكَنود، وأيضاً فتناسق الضمائر لواحدٍ مع صِحَّة المعنى أولى مِنْ جَعْلِهما لمختلِفَين، ولاسيَّما إذا توسَّط الضميرُ بين ضميرين عائدين على واحد.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإنَّ الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: قويٌّ في حُبِّه. وقيل: لَبخيلٌ بالمال ضابطٌ له، ويقال للبخيل: شديدٌ ومُتشدِّد. وقال طَرَفة:

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ ويصطفي عَقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتشدِّدِ[1]

وقال عكرمة[2]: «الخير» من حيثُ وقع في القرآن هو المال. قال ابن عطية: ويحتمل أن يُرادَ هذا الخير الدنياوي من مالٍ وصحَّةٍ وجاهٍ عند الملوك ونحوه؛ لأنَّ الكفَّار والجُهَّال لا يعرفون غيرَ ذلك، فأمَّا المُحِبُّ في خير الآخرة فممدوحٌ مرجوٌّ له الفوز.

وقال الفرَّاء: نظمُ الآية أن يُقال: وإنَّه لَشديدُ الحُبِّ للخير[3]، فلمَّا تقدَّم لحُبِّ قال: لَشديد، وحذَفَ من آخره ذِكْرَ الحُبِّ؛ لأنَّه قد جرى ذِكْرُه، ولرؤوس الآيِ، كقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] والعُصُوف للريح لا للأيام، كأنَّه قال: في يومٍ عاصفِ الرِّيح. انتهى.

وقال غيره[4] ما معناه: لأنَّه ليس أصلُه ذلك التركيب، بل اللَّامُ في «الحُبِّ» لامُ العِلَّة، أي: وإنَّه لأجل حُبِّ المال لَبخيلٌ، أو: وإنَّه لحُبِّ المال وإيثاره قويٌّ مُطيقٌ، وهو لحُبِّ عبادة الله وشكر نعمه ضعيفٌ متقاعسٌ؛ تقول: هو شديدٌ لهذا الأمرِ وقويٌّ له، إذا كان مُطيقاً له ضابطاً. قال الزمخشري: أو أراد «وإنَّه لحُبِّ الخيرات» غيرُ هَشٍّ مُنبسط، ولكنَّه شديدٌ منقبض.

---

(١) ديوان طرفة ص٣٤. قال ابن النحاس في شرح المعلقات ١/ ٨٣: ويصطفي: يأخذ صفوته وهو خيرته. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤٠.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: قتادة، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

(٣) هكذا جاءت العبارة في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤٠، وهي في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥: وإنَّه للخير لشديدُ الحُبِّ.

(٤) وهو الزمخشري في كشافه ٤/ ٢٧٩.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ توقيفٌ إلى ما يؤول إليه الإنسان[(١)].

ومفعول «يعلم» محذوف، وهو العامل في الظرف، أي: أفلا يعلم مآلَه إذا بُعْثِر. وقال الحَوْفي: «إذا» ظرفٌ مضافٌ إلى «بُعْثِر» والعامل فيه «يعلم»[(٢)]. انتهى. وليس بمتَّضِحٍ؛ لأنَّ المعنى: أفلا يعلَمُ الآن.

وقرأ الجمهور: «بُعْثِرَ» بالعين مبنيًّا للمفعولِ. وقرأ عبد الله بالحاء. وقرأ الأسود بن زيد: «بُحِثَ». وقرأ نصر بن عاصم: «بَحْثَرَ» على بنائه للفاعل[(٣)].

وقرأ ابن يَعْمُر، ونصر بن عاصم، ومحمد بن أبي مَعْدان: «وحَصَّلَ» مبنيًّا للفاعل[(٤)]. والجمهور مبنيًّا للمفعول. وقرأ ابن يَعْمُر أيضاً، ونصر بن عاصم أيضاً: «وحَصَلَ» مبنيًّا للفاعل، خفيف الصاد[(٥)]. والمعنى: جُمِع ما في الصّحف[(٦)]، أي: أُظهِرَ مُحصَّلاً مجموعاً. وقيل: مُيِّزَ وكُشِفَ ليقع الجزاءُ عليه[(٧)].

وقرأ الجمهور: «إنَّ» بكسر الهمزة «لَخبير» باللام، وهو استئناف إخبار، والعامل في «بهم» وفي «يومئذٍ»: «لخبير»، وهو تعالى خبيرٌ دائماً، لكنَّه ضمَّن «خبير» معنى مُجازٍ لهم في ذلك اليوم.

وقرأ أبو السمَّال والحجَّاج بفتح الهمزة وإسقاط اللام[(٨)]. ويظهر في هذه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

(٢) وإليه ذهب ـ أيضاً ـ أبو البقاء العُكبَري في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٩٢. قال السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ٩٠: وردَّه مكي؛ قال: لأنَّ الإنسان لا يُراد منه العلم والاعتبار ذلك الوقت، وإنَّما يعتبر في الدنيا ويعلم. وقول مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣٦.

(٣) القراءات الثلاث في القراءات الشاذة ص١٧٨، لكن وقعت فيه قراءة نصر بن عاصم: «بَعْثَر» بالعين. والأسود بن زيد.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٨ عن محمود بن أبي معدان.

(٥) القراءات الشاذة ص١٧٨ عن ابن يعمر، وعنهما في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤١.

(٦) في النسخ والمطبوع: المصحف، والمثبت من الكشاف ٤/ ٢٧٩ والكلام منه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

(٨) القراءات الشاذة ص١٧٨.

القراءة تسلُّطُ «يعلم» على «إنَّ»، لكنَّه لا يمكن إعمالُ «خبير» في «إذا»؛ لكونِه في صلة «أنْ» المصدرية، لكنَّه لا يمكن أن يُقدَّرَ له عاملٌ فيه من معنى الكلام، كأنَّه قال: يجزيهم إذا بُعثِرَ، وعلى هذا التقدير يجوز أن تكون «يعلم» مُعلَّقةً عن العمل في قراءة الجمهور، وسَدَّتْ مَسَدَّ المعمول في «إنَّ» وفي خبرها اللامُ ظاهرٌ؛ إذ هي في موضع نصبٍ بـ «يعلم» وإذا العامل فيها من معنى مضمون الجملة، تقديره كما قلنا: يجزيهم إذا بُعْثِرَ.

(١٠٠) سورة العاديات مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله، فعدت وضبحت، وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو، ﴿ فالموريات قدحاً﴾ يعني اصطكاك نعالها للصخر، فتقدح منه النار، ﴿ فالمغيرات صبحاً﴾ يعني الإغارة وقت الصباح كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويستمع الأذان، فإن سمع أذاناً وإلا أغار، وقوله تعالى: ﴿ فأثرن به نقعاً﴾ يعني غباراً في مكان معترك الخيول، ﴿ فوسطن به جمعاً﴾ أي توسطن ذلك المكان كلهن جمع، روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: بينا أنا في الحجر جالساً جاءني رجل فسألني عن: ﴿ العاديات ضبحاً﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتل عني، فذهب إلى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم، فسأله عن العاديات ضبحاً، فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي، فلما وقف على رأسه، قال: أتفتي الناس بما لا علم لك؟ والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى، وفي لفظ: إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران»[١]، فذهب ابن عباس أنها الخيل[٢]، وقال (علي) إنها الإبل. قال عطاء: ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب، وقال عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح، وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿ فالموريات قدحاً﴾ يعني

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) وإلى قول ابن عباس ذهب جمهور المفسرين، منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة واختاره ابن جرير.

بحوافرها، وقيل: أسعرت الحرب بين ركبانهن، وقيل: هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل، وقيل: المراد بذلك نيران القبائل، قال ابن جرير: والصواب الأول: الخيل حين تقدح بحوافرها، وقوله تعالى: ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله، وقال: من فسرها بالإبل هو الدفع صبحاً من المزدلفة إلى منى، وقالوا كلهم في قوله: ﴿فأثرن به نقعاً﴾ هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو، وقوله تعالى: ﴿فوسطن به جمعاً﴾ قال ابن عباس وعطاء: يعني جمع الكفار من العدو. ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعاً ويكون منصوباً على الحال المؤكدة، وقوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ هذا هو المقسم عليه، بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود، قال ابن عباس ومجاهد: الكنود الكفور. قال الحسن: الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه، وقوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ قال قتادة والثوري: وإن الله على ذلك لشهيد، ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد، أي بلسان حاله، أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ وقوله تعالى: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ أي وإنه لحب الخير وهو المال ﴿لشديد﴾، وفيه مذهبان: (**أحدهما**): أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال، (**والثاني**) وإنه لحريص بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح، ثم قال تبارك وتعالى مزهداً في الدنيا، ومرغباً في الآخرة، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبله الإنسان من الأهوال ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور؟﴾ أي أخرج ما فيها من الأموات، ﴿وحصّل ما في الصدور﴾ يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم، ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة.

[آخر تفسير سورة العاديات. ولله الحمد والمنة]

❊ ❊ ❊

تفسير سورة العاديات

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١) ﴾ .

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت فى سبيله فَعَدت وضَبَحت ، وهو : الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو . ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار .

﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ يعنى : الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويتسمّع [١] أذانا ، فإن سمع [٢] وإلا أغار .

[وقوله] [٣] : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ يعنى : غباراً فى [مكان] [٤] معترك الخيول .

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ أى : توسطن ذلك المكان كُلّهن جُمعَ .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشجّ ، حدثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ قال : الإبل .

وقال على : هى الإبل . وقال ابن عباس : هى الخيل . فبلغ عليا قولُ ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك فى سرية بعثت .

قال ابن أبى حاتم وابن جرير : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس حدثه ، قال : بينا أنا فى الحِجْر جالساً ، جاءنى رجل فسألنى عن : ﴿ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقلت له : الخيل حين تغير فى سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عنى فذهب إلى على ، رضى الله عنه ، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال :سألت عنها أحداً قبلى ؟ قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير فى سبيل الله . قال : اذهب فادعه لى . فلما وقف على رأسه قال : تفتى الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أولَ غزوة فى الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا فَرَسان : فرس للزبير وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة

(١) فى أ : « ويستمع » . (٢) فى م : « فإن سمع أذاناً » . (٣، ٤) زيادة من م ، أ .

إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى .

قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ورجعت إلى الذى قال على ، رضى الله عنه (١) .

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال على : إنما ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة ، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران .

وقال العَوفى عن ابن عباس : هى الخيل .

وقد قال بقول على : إنها الإبل جماعة . منهم : إبراهيم ، وعبيد بن عمير وبقول ابن عباس آخرون ، منهم : مجاهد وعكرمة ، وعطاء وقتادة ، والضحاك . واختاره ابن جرير .

قال ابن عباس ، وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب .

وقال ابن جُرَيْج (٢) ، عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح .

وقال أكثر هؤلاء فى قوله : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : بحوافرها . وقيل : أسعَرْنَ الحرب بين رُكبانهن . قاله قتادة .

وعن ابن عباس ومجاهد : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : مكر الرجال .

وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل .

وقيل : المراد بذلك : نيران القبائل .

وقال من فسرها بالخيل : هو إيقاد النار بالمزدلفة .

وقال ابن جرير : والصواب الأول ؛ أنها الخيل حين تقدح بحوافرها .

وقوله : ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعنى إغارة الخيل صبحاً فى سبيل الله .

وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى .

وقالوا كلهم فى قوله : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ هو : المكان الذى إذا حلت فيه أثارت به الغبار ، إما فى حج أو غزو .

وقوله : ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ قال العَوفى ، عن ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : يعنى جَمع الكفار من العدو .

ويحتمل أن يكون : فوسطن بذلك المكان جَميعُهُن ، ويكون ﴿ جَمْعًا ﴾ منصوباً على الحال المؤكدة .

وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً [غريباً جداً] (٣) فقال : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جُمَيع ، حدثنا سِمَاك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً

(١) تفسير الطبرى (٣٠/١٧٦) .

(٢) فى أ : « جرير » .

(٣) زيادة من م ، أ .

فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر ، فنزلت : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، ضبحت بأرجلها ، ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ : قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ، ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ : صَبَّحت القوم بغارة ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ : أثارت بحوافرها التراب ، ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ قال : صبحت القوم جميعاً (١).

وقوله : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، بمعنى : أنه لنعم ربه لجحود كفور .

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النَّخعى ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الضحى ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن قيس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد: الكنود : الكفور . قال الحسن : هو الذى يعد المصائب ، وينسى نعم ربه .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم ، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود ﴾ ، قال : «الكفور الذى يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده » (٢) .

ورواه ابن أبى حاتم ، من طريق جعفر بن الزبير ــ وهو متروك ــ فهذا إسناد ضعيف . وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان ، عن حمزة بن هانئ ، عن أبى أمامة موقوفاً (٣) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ : قال قتادة وسفيان الثورى : وإن الله على ذلك لشهيد .

ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان ، قاله محمد بن كعب القرظى ، فيكون تقديره : وإن الإنسان على كونه كنوداً (٤) لشهيد ، أى : بلسان حاله ، أى : ظاهر ذلك عليه فى أقواله وأفعاله ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة:١٧] .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أى: وإنه لحب الخير ــ وهو: المال ــ لشديد. وفيه مذهبان :

أحدهما : أن المعنى : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثانى : وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال . وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالى مُزَهِّدا فى الدنيا ، ومُرَغِّباً فى الآخرة ، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإنسان من الأهوال : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ أى : أخرج ما فيها من الأموات ، ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ قال ابن عباس وغيره : يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم ، ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ أى : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، مجازيهم (٥) عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر [تفسير] (٦) سورة « والعاديات » ولله الحمد [والمنة ، وحسبنا الله] (٧)

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٩١) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٤٢) : « فيه حفص بن جميع وهو ضعيف » .

(٢) ورواه الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ١٨٠) عن أبى كريب ، به .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٠) .

(٤) فى م : « لكنودا » . (٥) فى أ : « ويجازيهم » . (٦،٧) زيادة من م .

[تفسير] سورة العاديات

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

يقسم تعالىٰ بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت ، وهو : الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو . ﴿ **فالموريات قدحًا** ﴾ ، يعني : اصطكاك نعالها بالصخر[١] فتقدح منه النار .

﴿ **فالمغيرات صبحًا** ﴾ ، يعني الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يغير صباحًا ، ويتسمع أذانًا ، فإن سمع وإلا أغار .

﴿ **فأثرن به نقعًا** ﴾ يعني : غبارًا في معترك الخيول .

﴿ **فوسطن به جمعًا** ﴾ ، أي : توسطن ذلك المكان كلهن جمع .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد اللّٰه : ﴿ **والعاديات ضبحًا** ﴾ ، قال : الإبل .

وقال علي : هي الإبل . وقال ابن عباس : هي الخيل . فبلغ عليًا قول ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بعثت .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير(١) : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس حدثه ؛ قال : بينا أنا في الحجر جالسًا ، إذ[٢] جاءني رجل فسألني عن : ﴿ **العاديات ضبحًا** ﴾ ، فقلت له : الخيل حين تغير

(١) تفسير الطبري (٣٠/٢٧٢ - ٢٧٣) .

[١] - في ت : للصخر . [٢] - سقط من ز ، خ .

في سبيل اللّٰه ، ثم تأوي إلىٰ الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عني فذهب إلىٰ علي رضي اللّٰه عنه وهو عند سقاية زمزم ، فسأله عن ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ ، فقال : سألت عنها أحدًا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير في سبيل اللّٰه . قال : اذهب فادعه لي . فلما وقف علىٰ رأسه قال[١] : تفتي الناس بما لا علم لك ، واللّٰه لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير ، وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحًا ، إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلىٰ المزدلفة ، ومن المزدلفة إلىٰ منىٰ .

قال ابن عباس : فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه .

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال علي : إنما ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ من عرفة إلىٰ المزدلفة ، فاذا أووا إلىٰ المزدلفة أوروا النيران . وقال العوفي عن ابن عباس : هي الخيل .

وقد قال بقول علي : إنها الإبل ، جماعة منهم : إبراهيم ، وعبيد بن عمير؛ وبقول ابن عباس آخرون ، منهم : مجاهد وعكرمة ، وعطاء وقتادة والضحاك . واختاره ابن جرير .

قال ابن عباس وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح . وقال أكثر هؤلاء في قوله : ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ ، يعني : بحوافرها . وقيل : أسعرن الحرب بين[٢] ركبانهن . قاله قتادة . وعن ابن عباس ومجاهد : ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ يعني : مكر[٣] الرجال . وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلىٰ منازلهم من الليل .

وقيل : المراد بذلك نيران القبائل . وقال من فسره بالخيل : هو إيقاد النار بالمزدلفة .

قال ابن جرير : والصواب الأول : [أنها الخيل حين][٤] تقدح بحوافرها .

وقوله : ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعني إغارة الخيل صبحًا في سبيل اللّٰه . وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحًا من المزدلفة إلىٰ منىٰ .

وقالوا كلهم في قوله : ﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ : هو المكان الذي إذا[٥] حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو .

وقوله : ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ،

---

[١] - في ز : فقال .
[٢] - في ز : من .
[٣] - في ز : بكر .
[٤] - في ز : « إنه الخيل حتى » .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وقتادة ، والضحاك : يعني جمع الكفار من العدو .

ويحتمل أن يكون : ﴿فوسطن﴾ بذلك المكان جميعهن[١] ، ويكون ﴿جمعًا﴾ منصوبًا على الحال المؤكدة .

وقد روى أبو بكر البزار(٢) هاهنا حديثًا فقال : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جميع ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلًا فأشهرت[٢] شهرًا لا يأتيه منها خبر ، فنزلت : ﴿ والعاديات ضبحًا ﴾ ، ضبحت بأرجلها ، ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ ، قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارًا ، ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ : صبحت القوم بغارة ، ﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ ، أثارت بحوافرها التراب ، ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ ، قال : صبحت القوم جميعًا .

وقوله : ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ هذا هو المقسم عليه ، بمعنى أنه لنعم ربه لجحود كفور .

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النخعي ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الضحى ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن قيس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الكنود : الكفور . قال الحسن : هو الذي يعد المصائب ، وينسى نعم ربه .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد[٣] الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ ، قال : الكفور الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده » .

ورواه ابن أبي حاتم ، من طريق جعفر بن الزبير - وهو متروك - فهذا إسناد ضعيف . وقد رواه ابن جرير(٤) أيضًا من حديث حريز بن عثمان ، عن حمزة بن هانئ ، عن أبي أمامة موقوفًا .

وقوله : ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ ، قال قتادة وسفيان الثوري : وإن الله على ذلك لشهيد .

ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان . قاله محمد بن كعب القرظي . فيكون تقديره : وإن

(٢) أخرجه البزار (٢/١٢٠ - مختصر) (١٥٣٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٤٥) : وفيه حفص بن جميع وهو ضعيف .
(٣) والطبري (٣٠/٢٧٨) بهذا الإسناد .
(٤) تفسير الطبري (٣٠/٢٧٨) .

[١] - في ت : جمعهن .
[٢] - في ز : فأسهرت .
[٣] - في ز : عبد .

الإِنسان علىٰ كونه كنودًا لشهيد ، أي : بلسان حاله . أي : ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد**[١] **الله شاهدين علىٰ أنفسهم بالكفر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ ، أي : وإنه لحب الخير - وهو : المال - لشديد . وفيه مذهبان : أحدهما : أن المعنىٰ : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثاني : وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال . وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالىٰ مزهدًا في الدنيا ، ومرغبًا في الآخرة[٢] ، ومنبهًا علىٰ ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإِنسان من الأهوال : ﴿ **أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور** ﴾ أي : أخرج ما فيها من الأموات ، ﴿ **وحصل ما في الصدور** ﴾ ، قال ابن عباس وغيره : يعني أبرز وأظهر ما[٣] كانوا يسرون في نفوسهم ، ﴿ **إن ربهم بهم يومئذ لخبير** ﴾ ، أي : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، ومجازيهم[٤] عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر سورة « والعاديات » ، ولله الحمد [والمنة ، وبه التوفيق والعصمة ، وهو حسبي]

☆ ☆ ☆

[١] - في ز : مسجد .
[٢] - في ز : الأخرى .
[٣] - في ز : مما .
[٤] - في ز : ويجازيهم .

سورة والعادِيات

مختلَف فيها،[1] وهي إحدى عشرةَ آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ① فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ② فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ⑤ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ أقسم سبحانه بخيل الغُزاة التي تعدو نحوَ العدوّ. وقولُه تعالى: ﴿ضَبْحًا﴾ مصدرٌ منصوب إمّا بفعله المحذوف الواقع حالًا منها، أي: تضبَح ضَبْحًا، وهو صوت أنفاسها عند عَدْوها، أو بـ﴿ٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ فإنّ العَدْو مستلزِم للضبح، كأنّه قيل: "والضابحاتِ"، أو حالٌ على أنّه مصدر / بمعنى الفاعل، أي: ضابحاتٍ. [٣١٥و]

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ الإيراء: إخراج النار، والقدح: الصكّ. يقال: قدح فأورى، أي: فالتي تُورى النار مِن حوافرها. وانتصابُ ﴿قَدْحًا﴾ كانتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ على الوجوه الثلاثة.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ أسند الإغارة -التي هي مباغتة العدوّ للنهب أو القتل أو الأسر- إليها، وهي حالُ أهلِها، إيذانًا بأنّها العُمدة في إغارتهم. ﴿صُبْحًا﴾ أي: في وقت الصبح، وهو المعتاد في الغارات، يعدُون ليلًا لئلّا يشعر بهم العدوّ،[2] ويهجمون عليهم صباحًا ليَروا ما يأتون وما يذرون.

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ عطفٌ على الفعل الذي دلّ عليه اسم الفاعل؛ إذ المعنى: واللاتي عدونَ فأورينَ فأغرنَ فأثرنَ به، أي: فهيَّجنَ بذلك الوقت.

---

[1] س – مختلف فيها.

[2] وفي هامش م: يطلق "العدوّ" على الواحد والجمع. «منه».

﴿نَقْعًا﴾ أي: غبارًا، وتخصيصُ إثارته بالصبح؛ لأنّه لا يثور، أو لا يظهر ثَوَرانه بالليل. وبهذا ظهر أنّ الإيراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل، ولله درُّ شأن التنزيل. وقيل: النقع: الصياح والجَلَبة.[1] وقُرئ: "فَأَثَّرْنَ"[2] بالتشديد، بمعنى فأظهرنَ به غُبارًا؛ لأنّ التأثير فيه معنى الإظهار.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي: توسَّطن بذلك الوقت، أو توسَّطن ملتبِسات بالنقع. ﴿جَمْعًا﴾ مِن جموع الأعداء، والفاءات للدلالة على ترتّب ما بعد كلٍّ منها على ما قبلها، كما في قوله:

يا لهفَ زَيّابةَ للحارث الصَّـ ـابحِ فالغانمِ فالآيبِ[3]

فإنّ توسّط الجمع مترتِّب على الإثارة المترتِّبة على الإغارة المترتِّبة على الإيراء المترتِّب على العَدْو.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ أي: لكفور، مِن كَنَد النعمة كُنودًا. جواب القسم. والمراد بـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ بعضُ أفراده.

رويَ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث إلى أناس مِن بني كِنانة سَريّةً، واستعمل عليها المنذِر بنَ عمرو الأنصاري،[4] وكان أحدَ النُّقباء، فأبطأ عليه عليه السلام خبرُها شهرًا، فقال المنافقون: «إنّهم قُتلوا»، فنزلت[5] السورة إخبارًا للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بسلامتها، وبشارةً له / بإغارتها على القوم، ونعيًا على المرجِفين في حقّهم ما هم فيه مِن الكُنود. وفي تخصيص خيل الغُزاة بالإقسام بها مِن البراعة ما لا مزيد عليه، كأنّه قيل: وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت، وقد أرجف هؤلاء في حقّ أربابها ما أرجفوا إنّهم مبالغون في الكفران. [٣١٥ظ]

---

[1] جوّزه الزمخشري في الكشّاف، ٤/٥٩٥.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة وابن أبي عبلة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧٨.

[3] البيت لابن زَيّابة. ومضى بتخريجه في تفسير النازعات، ٧٩/١.

[4] هو المنذر بن عمرو بن خنيس الأنصاري الخزرجي الساعدي (ت. ٤هـ/٦٢٥م). أحد نقباء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الاثني عشر، وأحد السبعين الذين بايعوا النبيّ، شهد العقبة وبدرًا، واستشهد يوم بئر معونة. وكان في الجاهليّة يكتب بالعربيّة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ، ١٤٤٩/٤؛ والإصابة لابن حجر، ٢١٧/٦؛ والأعلام للزركلي، ٢٩٤/٧.

[5] بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ١٧١/٣٠؛ وتفسير القرطبي، ١٥٥/٢٠؛ واللباب لابن عادل، ٤٥٧/٢٠.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: وإنّ الإنسان على كُنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بالكُنود لظهور أثره عليه.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة، ١٨٠/٢]. ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: قويّ مُطيق مُجدٌّ في طلبه وتحصيلِه متهالكٌ عليه، يقال: هو شديد لهذا الأمر وقويّ له إذا كان مطيقًا له ضابطًا. وقيل: الشديد: البخيل،[١] أي: إنّه[٢] لأجل حبّ المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل ممسِك. ولعلّ وصفَه بهذا الوصف القبيح بعد وَصْفه بالكنود للإيماء إلى أنّ مِن جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حبَّ المال؛ لأنّهم بما يظهرون مِن الإيمان يعصمون أموالهم ويحوزون مِن الغنائم نصيبًا.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾... إلى آخره، تهديدٌ ووعيد، و"الهمزة" للإنكار، و"الفاء" للعطف على مقدَّر يقتضيه المقام، أي: أيفعل ما يفعل مِن القبائح؟ أو ألا يُلاحظ فلا يعلم حالَه إذا بُعث مَن في القبور مِن الموتى؟ وإيرادُ ﴿مَا﴾ لكونهم إذ ذاك بمَعزِل مِن رتبة العقلاء. وقُرئ: "بُحْثِرَ"،[٣] و"بُحِثَ"،[٤] و"بَحْثَرَ"،[٥] و"بَحَثَ"،[٦] على بنائهما للفاعل.

﴿وَحُصِّلَ﴾ أي: جُمع محصّلًا، أو ميّز خيره مِن شرّه. وقُرئ: "حَصَّلَ"[٧] مبنيًا للفاعل، و"حَصَلَ"[٨] مخففًا. ﴿مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ مِن الأسرار الخفيّة التي مِن جملتها ما يُخفيه المنافقون مِن الكفر والمعاصي فضلًا عن الأعمال الجليّة.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٦/٤.
٢ س - إنّه.
٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٧.
٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود والأسود بن يزيد. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٧.
٥ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٥٩٦/٤.
٦ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٥٩٦/٤.
٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مِقْسَم ومحمّد بن مَعْدان. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٧.
٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٧.

﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾ أي: المبعوثين، كُنّيَ عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عُبّر عنهم قبل ذلك بـ﴿مَا﴾ بناءً على تفاوتهم في الحالين كما فُعل نظيرُه بعد الإحياء الأوّل حيث التُفِتَ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ الآية [النحل، ٧٨/١٦] بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة، ٩/٣٢] إيذانًا بصلاحيّتهم / للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله، كما أشيرَ إليه هناك. [٣١٦و]

﴿بِهِمْ﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ يكون ما ذُكر مِن بَعْث ما في القبور وتحصيلِ ما في الصدور ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ أي: عالم بظواهر ما عمِلوا وبواطنه عِلمًا موجِبًا للجزاء متّصلًا به، كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم، وإلّا فمطلَق عِلمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون، وقوله تعالى: ﴿بِهِمْ﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ متعلّقان بـ﴿خَبِيرٌ﴾ قدّما عليه لمراعاة الفواصل، و"اللام" غيرُ مانعة مِن ذلك، وقرأ ابن السّمّال: "إنّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ".[١]

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ أعطيَ مِن الأجر عشرَ حسنات بعدد مَن بات بمزدلفةَ وشهِد جمعًا».[٢]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السمّال. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧٨-١٧٩.

٢ س + تم. | الكشف والبيان للثعلبي، ١٦٨/٣٠ (العاديات، ١/١٠٠)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٤٤/٤ (العاديات، ١/١٠٠)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٩٦/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

١٠٠

سورة والعاديات

مكية أو مدنية، إحدى عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والعادِياتِ﴾: الخيلِ تعدو في الغزو وتَضبحُ ﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أجوافها إذا عَدَت، ٢ ـ ﴿فالمُورِياتِ﴾: الخيلِ تُوري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحِجارة بالليل، ٣ ـ ﴿فالمُغِيراتِ صُبْحًا﴾: الخيلِ تُغير على العدوّ وقت الصبح بإغارة أصحابها، ٤ ـ ﴿فأثَرْنَ﴾: هيّجْنَ ﴿بِهِ﴾: بمكان عدوهن، أو بذلك الوقت، ﴿نَقْعًا﴾ أي: غبارًا بشِدّة حركتهنّ، ٥ ـ ﴿فوَسَطْنَ بِهِ﴾: بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من العدوّ، ....

سُورَةُ العَادِيَاتِ

قولُهُ: (الخَيلِ) قالهُ ابنُ عبَّاسٍ، أو إبلِ الحاجِّ، قالهُ عليٌّ[1]، والأوَّلُ أظهَرُ.

قولُهُ: (تَضبَحُ) أي: نصبَهُ بفعلِهِ، أو ﴿ضَبحًا﴾ حالٌ بمعنى: ضابِحَة.

قولُهُ: (أَجوَافِهَا) أو أنفاسِها.

قولُهُ: (النَّارَ) والإيراءُ: إخراجُ النَّار.

قولُهُ: (وَقتَ الصُّبحِ) أي: نصبُهُ على الظَّرفيَّةِ.

قولُهُ: (بالنَّقعِ) أي: فتوَسَّطنَ مُلتَبساتٍ به.

قولُهُ: (منَ العَدُوِّ) أي: من جُموعِ الأعداءِ، رويَ أنَّه ﷺ بَعثَ خَيلاً فمضَتْ شَهراً لم يأتِهِ منهم خبرٌ، فنزلَتْ، رواهُ الدَّارقُطنيُّ وغيره[2].

---

(١) جاء القولان فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٠٧)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٠/ ١٧٤) (٣٦٠٧) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. واعترض عليه الذهبي فقال: بل هو خبر منكر.

(٢) رواه البزار في «كشف الأستار» (٢٢٩١) والدارقطني في «الثاني من الأفراد» (٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

أي: صِرْنَ وسْطَه ـ وعُطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل، أي: واللاّتي عدَونَ فأورَينَ فأغرْنَ
ـ ٦ ـ ﴿إنَّ الإنسانَ﴾ الكافرَ ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾: لكَفورٌ يجحد نعمَه ـ تعالى ـ ٧ ـ ﴿وإنَّهُ على ذلِكَ﴾ أي: كُنودِهِ ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يشهد على نفسه بصُنعه، ٨ ـ ﴿وإنَّهُ لِحُبِّ الخَيرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لشديدُ الحبّ له، فيبخل به.

٩ ـ ﴿أفلا يَعلَمُ، إذا بُعثِرَ﴾: أُثيرَ وأُخرج ﴿ما في القُبُورِ﴾ من الموتى أي: بُعثوا ١٠ ـ ﴿وحُصِّلَ﴾: بُيِّنَ وأُفرِزَ ﴿ما في الصُّدُورِ﴾: القُلوب من الكُفر والإيمان، ١١ ـ ﴿إنَّ رَبَّهُم بِهِم يَومَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾: لَعالِمٌ، فيُجازيهم على كُفرهم؟ أُعيد الضمير جمعًا نظرًا لِمعنى الإنسان. وهذه الجُملة دلّت على مفعول «يعلمُ» أي: أنّا نجازيه وقت ما ذُكر. وتعلّقَ خبير بـ «يومئذ»، وهو ـ تعالى ـ خبير دائمًا، لأنه يوم المُجازاة.

قولُهُ: (لَكَفُورٌ) وهو جوابُ القَسَمِ.

قولُهُ: (بصُنعِهِ) لظهورِ أثرِهِ عليه.

قولُه: (أي: المَالِ) من قولِهِ: ﴿إِن تَرَكَ خَيراً﴾ [البقرة: ١٨٠].

قولُهُ: (أُفرِزَ) أي: مُيِّز.

قولُهُ: (القُلُوبِ) وتخصيصُهُ؛ لأنَّه الأصلُ.

قولُهُ: (لمَعنَى الإنسَانِ) قالَ القاضِي(١): وإنَّما قال: ﴿مَا في القُبُورِ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿بِهِم﴾ لاختِلافِ شأنِهِم في الحالَينِ.

قولُهُ: (دَلَّت) بل هي المفعولُ، وإنَّما كسرَتْ ﴿إن﴾ لوجودِ اللّامِ في خبَرِها، وقرئَ: (أَن) و(خَبِير) بلا لامٍ(٢)، والله تعالى أعلمُ.

* * *

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧/ ١٤٢): فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٣١).

(٢) وهي قراءات شاذة، ونسبت للضحاك والحجاج بن يوسف، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٢١).

سورة العاديات

مكيةٌ في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، مدنيةٌ في قول أنس وقتادة وإحدى الروايتين عن ابن عباس[1]؛ وقد أخرج عنه البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني في «الأفراد» وابن مردويه أنه قال: بَعَث رسول الله ﷺ خَيلاً فاستمرت شهراً لا يأتيه منها خبرٌ، فنزلت: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ﴾ إلخ[2].

وآيها إحدى عشرة بلا خلاف.

وأخرج أبو عبيد في فضائله من مرسل الحسن أنها «تُعدل بنصف القرآن»[3].

وأخرج ذلك محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس مرفوعاً[4]، ولم أقف على سرِّه.

ولَمَّا ذكر سبحانه فيما قبلها الجزاء على الخير والشرِّ أَتْبَعَ ذلك فيها بتعنيفِ مَن آثر دنياه على آخرته ولم يستعدَّ لها بفعل الخير، ولا يخفى ما في قوله تعالى هناك: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] وقوله سبحانه هنا: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] من المناسبة والعلاقة على ما سمعتَ من أنَّ المراد بالأثقال ما في جوفها من الأموات أو ما يعمُّهم والكنوزَ.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، والبحر ٨/ ٥٠٣.

(٢) مسند البزار (٢٢٩١ - كشف)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني وابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٣، قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٤٢: فيه حفص بن جميع وهو ضعيف.

(٣) فضائل القرآن ص١٤١.

(٤) عزاه لمحمد بن نصر السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٣.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ الجمهورُ على أنّه قسمٌ بخيل الغزاة في سبيل الله تعالى التي تَعْدُو، أي: تجري بسرعةٍ نحو العدوِّ. وأصل «العاديات»: العادِوَات بالواو، فقلبت ياءً لانكسارِ ما قبلها.

وقوله تعالى: ﴿ضَبْحًا﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المحذوف، أي: تَضْبَحُ ـ أو: يَضْبحن ـ ضبحاً، والجملةُ في موضع الحال، وضَبحُها: صوتُ أنفاسِها عند عَدْوِها؛ وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس: الخيلُ إذا عَدَت قالت: أحْ أحْ، فذلك ضبحُها[١].

وأخرج ابن جرير عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: الضَّبْحُ من الخيل الحَمْحَمَة، ومن الإبل التنفُّس[٢].

وفي «البحر»[٣]: تصويتٌ جهيرٌ عند العدْوِ الشديد، ليس بصهيلٍ ولا رُغاءٍ ولا نُباح، بل هو غيرُ الصوت المعتاد من صوت الحيوان الذي يُنسب هو إليه، وعن ابن عباس: ليس يضبَح من الحيوان غيرُ الخيل والكلاب[٤]، ولا يصحّ عنه فإن العرب استعملت الضبْحَ في الإبل والأسْوَد من الحيات والبوم والأرنب والثعلب، وربما تُسنِده إلى القوس؛ أنشد أبو حنيفة في صفتها:

حَنَّانَةٌ من نَشَمٍ أو تَألَبِ ... تَضْبَحُ في الكفِّ ضُباحَ الثعلَبِ[٥]

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٥، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٥.

(٣) ٨/ ٥٠٢.

(٤) أخرجه عنه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠، والطبري ٢٤/ ٥٧٢.

(٥) البيت في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٣، واللسان (ضبح)، والبحر ٨/ ٥٠٢، والكلام منه. والحنَّانة: المصوِّتة من القوس؛ من حَنَّت تَحِنّ. ونَشَم: شجرٌ للقسِيّ. والتألَب: شجر. القاموس (حنن) و(نشم) و(ألب).

وذكر بعضهم أنَّ أصلَه للثعلب فاستعير للخيل كما في قول عنترة:

والخيلُ تكدَح حين تَضْـ بَحُ في حِياض الموت ضَبْحَا[١]

وأنَّه من: ضَبَحَتْه النارُ: غيَّرت لونَه ولم تُبالغ فيه، ويقال: انضبح لونُه: تغيَّر إلى السواد قليلاً.

وقال أبو عبيدة: الضبْحُ وكذا الضَّبْعُ بمعنى العَدْو الشديد[٢]. وعليه قيل: إنَّه مفعولٌ مطلقٌ لـ «العاديات»، وليس هناك فعلٌ مقدَّرٌ. وجوِّز على تفسيره بما تقدَّم أن يكون نصباً على المصدرية به أيضاً، لكن باعتبار أنَّ العدْوَ مستلزم للضَّبْح، فهو في قوة فعل الضبح.

ويجوز أن يكون نصباً على الحال مؤوَّلاً باسم الفاعل، بناءً على أنَّ الأصلَ فيها أن تكون غير جامدةٍ، أي: والعاديات ضَابِحاتٍ.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢﴾ الإيراء: إخراجُ النار، والقدحُ هو الضربُ والصكُّ المعروف، يقال: قَدَحَ فأوْرَى: إذا أخرج النارَ. وقَدَحَ فأصْلَد: إذا قَدَحَ ولم يُخرِجها. والمرادُ بها الخيلُ أيضاً، أي: فالتي تُورِي النارَ من صَدْمِ حوافرها للحجارة. وتسمَّى تلك النارُ نارَ الحُباحِب، وهو اسم رجلٍ بخيلٍ كان لا يُوقِد إلا ناراً ضعيفة مخافةَ الضيفان[٣]، فضربوا بها المثل حتى قالوا ذلك لِمَا تقدَحه الخيل بحوافرها والإبلُ بأخفافها.

وانتصابُ «قدحاً» كانتصابِ «ضبحاً» على ما تقدَّم. وجوِّز كونه على التمييز المحوَّل عن الفاعل، أي: فالمُورِي قدحُها. ولعلها أَمْيَزُ وأبعدُ عن القدح.

---

(١) الصحاح (ضبح)، والكشاف ٤/ ٢٧٧، واللسان (ضبح)، والبحر ٨/ ٥٠٣.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٧، والكلام من البحر ٨/ ٥٠٣.

(٣) وقيل: إنه كان لا يوقد ناراً لخبز أو غيره حتى تنام العيون، فيوقد نويرة تَقِدُ مرة وتخمد أخرى، فإن استيقظ أحد أطفأ كراهية أن ينتفع بها أحد. ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٤، وتفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣، وتفسير الرازي ٣٢/ ٦٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٣.

وعن قتادة: الموريات مجازٌ في الخيل تُوري نارَ الحرب وتُوقِدها[1]. وهو خلاف الظاهر.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ مِن: أغار على العدوِّ: هجم عليه بغتةً بخيله لنهبٍ أو قتلٍ أو إسارٍ. فالإغارةُ صفةُ أصحاب الخيل، وإسنادها إليها إما بالتجوُّز فيه أو بتقدير المضاف، والأصل: فالمُغِير أصحابُها، أي: فالتي يُغير أصحابُها [على] العدوِّ عليها، وقيل: بسببها.

﴿صُبْحًا﴾ أي: في وقت الصبح، فهو نصبٌ على الظرفية، وذلك هو المعتاد في الغارات، كانوا يَغْدُون ليلاً لئلا يشعُر بهم العدوُّ، ويهجمون صباحاً ليَروا ما يأتون وما يذرون، وكانوا يتحمَّسون بذلك، ومنه قولُه:

قومي الذين صبَّحوا الصباحا
يومَ النخيلِ غارةً مِلحَاحَا[2]

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ من الإثارة، وهي التهييج وتحريكُ الغبار ونحوِه، والأصل: أَثْوَرْنَ، نُقلت حركة الواو إلى ما قبلها وقُلبت ألفاً، وحُذفت لاجتماع الساكنين.

والفعل عطفٌ على الاسم قبلُ وهو «العاديات» أو ما بعده؛ لأنه اسم فاعل وهو في معنى الفعل، خصوصاً إذا وقع صلةً، فكأنه قيل: فاللاتي عَدَون فأَوْرَيْنَ فأغَرْنَ فأثَرْنَ. ولا شذوذَ في مثله؛ لأنَّ الفعل تابعٌ فلا يلزم دخولُ «أل» عليه، ولا حاجة إلى أن يقال: هو معطوفٌ على الفعل الذي وُضع اسمُ الفاعل موضعَه.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٦.

(٢) الرجز لليلى الأخيلية، كما في الخزانة ٦/ ٢٤، وهو في نوادر أبي زيد ص ٤٧ منسوب لأبي حرب بن الأعلم، شاعر جاهلي. والرواية المشهورة فيه: اللذون، بدل: الذين. ينظر مغني اللبيب ص٥٣٥، وشرح ابن عقيل ١/ ١٤٤، والخزانة ٦/ ٢٣، والنخيل: بالتصغير، عينُ ماء قربَ المدينة، وموضعٌ من نواحي الشام. والغارة: اسم من الإغارة على العدو. وملحاحاً: صفة غارة، أي: ذات إلحاح. الخزانة ٦/ ٢٣-٢٤.

والحكمة في مجيء هذا فعلاً بعد اسم فاعل ـ على ما قال ابن المنير ـ تصويرُ هذه الأفعال في النفس، فإنَّ التصوير يحصل بإيراد الفعل بعدَ الاسم لِما بينهما من التخالف، وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي(١)، كقول ابن معد يكرب:

بأني قد لقيتُ الغولَ يهوي بشهب كالصحيفة صَحْصَحَانِ
فآخذه فأضربه فخَرَّت صَريعاً لليدَينِ وللجِرَانِ(٢)

وخُصَّ هذا المقام من الفائدة ـ على ما قال الطيبي ـ أنَّ الخيل وُصف بالأوصاف الثلاثة ليُرتَّب عليها ما قُصد من الظفر بالفتح، فجيء بهذا الفعل الماضي وما بعده مسبَّبَينِ عن أسماء الفاعِلينَ، فأفاد ذلك أنَّ تلك المداوَمة أنتجت هاتين البُغيتَينِ. ويُفهم منه أنَّ الفاء لتفريعِ مَا بعدها عما قبلها وجَعْلِه مسبَّباً عنه، وسيأتي الكلام فيها قريباً إن شاء الله تعالى.

وضميرُ «به» للصُّبح، والباء ظرفيةٌ، أي: فهَيَّجْنَ في ذلك الوقت ﴿نَقْعًا﴾ أي: غباراً، وتخصيصُ إثارته بالصبح لأنَّه لا يثور أو لا يظهر ثورانُه بالليل، وبهذا يظهر أنَّ الإيراء الذي لا يظهر في النهار واقعٌ في الليل، وفي ذكر إثارة الغبار إشارةٌ ـ بلا غبارٍ ـ إلى شدَّة العَدْوِ وكثرةِ الكرِّ والفرِّ، وكثيراً ما يشيرون به إلى ذلك، ومنه قول ابن رواحة:

عدمتُ بُنيَّتي إن لم تروها تُثير النقْعَ من كَنَفَيْ كَداءِ(٣)

---

(١) في (م): المضارع. وهو خطأ.
(٢) الانتصاف ٤/٢٧٨. ونُسب البيتان في الأغاني ٢١/١٢٩-١٣٤، والكشاف ٣/٣٠٢، وتفسير القرطبي ١٧/٣٥٢، والبحر ٨/٣٠٢ لتأبّط شرًّا، وكذا سلف عند المصنف ٨/٣١٦، وهما في ديوانه ص٢٢٤-٢٢٥. وصدر البيت الثاني عندهم عدا الانتصاف: فأضْرِبُها بلا دهْش فخرَّت. وكذا: بسَهْب، بدل: بشهب. وعزاهما البصري في حماسته ٢/٣٩٧، والبغدادي في الخزانة ٦/٤٣٨ لأبي البلاد الطهوي باختلاف يسير. والسَّهْب بالفتح: الفلاة، وبالضم: المستوي من الأرض في سهولة. والصحصحان: المستوي من الأرض. والجِرَان: مقدَّم العنق. القاموس (سهب) و(صحح) و(جرن).
(٣) النكت والعيون ٦/٣٢٤-٣٢٥، وتفسير القرطبي ٢٢/٤٣٤، والبحر ٨/٥٠٣. والصواب أن =

وقال أبو عبيد[(١)]: النقع: رفعُ الصوت، ومنه قول لبيد:

فـمـتـى يَـنْـقَـعْ صُـراخٌ صـادقٌ يُـحـلِـبـوه[(٢)] ذاتَ جَـرْس وزَجَـلْ[(٣)]

وقولُ عمر رضي الله عنه ـ وقد قيل له يوم تُوفِّي خالد بن الوليد: إنَّ النساء قد اجتمعن يبكين على خالد ـ: ما على نساء بني المغيرة أن يَسفِكن على أبي سليمان دموعَهنَّ وهُنَّ جلوس، ما لم يكن نَقْعٌ ولا لقلقة[(٤)].

والمعنى عليه: فهيَّجْنَ في ذلك الوقت صياحاً، وهو صياحُ مَن هُجم عليه وأُوقع به. والمشهور المعنى الأول.

وجوِّز كونُ ضمير «به» للعَدْوِ الدالِّ عليه «العاديات»، أو للإغارة الدالِّ عليها «المغيرات»، والتذكير لتأويلها بالجَرْي ونحوه. والباء للسببية أو للملابسة[(٥)]،

= قائله حسان بن ثابت كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢١، وأخبار مكة للفاكهي ٤/ ١٨٠، وتهذيب الآثار (مسند عمر بن الخطاب) ٢/ ٦٦٤، وجمهرة اللغة ٣/ ٢٤٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٨، وتاريخ الإسلام ١/ ٣٥٩، والخزانة ٩/ ٢٣١، وهو في ديوان حسان ص٦٠، ورواية سيرة ابن هشام والجمهرة والخزانة والديوان:

عـدِمـنـا خـيـلَـنـا إن لـم تـروهـا تـثـيـر الـنَّـقْـع مـوعـدُهـا كـداءُ

قال البغدادي: كداء: الثنية التي في أصلها مقبرة مكة، ومنها دخل الزبير يومئذ (يعني يوم الفتح).

(١) في الأصل و(م) ومطبوع البحر ٨/ ٥٠٣: أبو عبيدة. والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٥، والدر المصون ١١/ ٨٦، والكلام في غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٧٥.

(٢) ورد هنا في هامش الأصل حاشية: أي: يعينوه، من: أحلبتُ الرجلَ: إذا أعنته. ويقال للقوم إذا جاؤوا للنصرة من كل أوب: قد أحْلبوا. وكان معناه: أتوا بالحلبة، وهي خيل تجمع للسباق من كل أوب، لا تخرج من إصطبل واحد. اهـ منه.

(٣) ديوان لبيد ص١٩١، وغريب الحديث ٣/ ٢٧٥. قال شارح الديوان: الجرس: الصوت. والزجل كذلك، إلّا أن فيه تطريباً. أراد: كتيبة ذات جرس وزَجَل. والمعنى: أنهم إذا ارتفع صوت الصريخ هبُّوا للنجدة بكتيبة هذه حالها.

(٤) غريب الحديث ٣/ ٢٧٤، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٨٥). وجاء في هامش الأصل: فسِّر النقع بالصوت، واللقلقةُ نحوه. وقيل: اللقلقة: صوت النائحة باللسان، والنقع: وضع التراب على الرأس، من النقيع: الغبار المرتفع. وقيل: شق الجيوب. اهـ منه.

(٥) ورد في هامش الأصل: وهي تصريح بما تقتضيه الفاء على ما سمعتَ عن الطيبي، فلا تغفل. اهـ منه.

وجوّز كونها ظرفيةً أيضاً والضميرُ للمكان الدالّ عليه السياقُ، والأول أظهر وألطف، ومثلُه ضميرُ «به» في قوله عز وجل: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي: فتوسَّطن في ذلك الوقت ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء، وجوّز فيه وفي بائه نحوُ ما تقدَّم في «به» قبله، وجوِّز أيضاً كونُ الضمير للنَّقْع والباء للملابسة، أي: فتوسَّطن ملتبساتٍ بالنقع جمعاً. أو هي ـ على ما قيل ـ للتعدية إن أريد أنَّها وَسَّطت الغبارَ.

والفاءات كما في «الإرشاد» للدلالة على ترتُّب[1] ما بعد كلٍّ منها على ما قبله، فتوسُّط الجمع مترتِّب على الإثارة المترتِّبة على الإيراء المترتِّب على العدْوِ[2].

وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة: «فأثَّرْنَ» و: «فوسَّطْنَ» بتشديد الثاء والسين[3]. وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وزيد بن علي وقتادة وابن أبي ليلى الأولَ كالجمهور، والثاني كذين[4].

والمعنى على تشديد الأول: فأظهرن به غباراً، لأنَّ التأثير فيه معنى الإظهار. وعلى تشديد الثاني على نحو ما تقدَّم، فقد نقلوا أنَّ «وَسطَ» مخفَّفاً ومثقَّلاً بمعنًى واحدٍ، وأنهما لغتان، وقال ابن جنِّي: المعنى: ميَّزْنَ به جمعاً، أي: جعلْنه شطرين، أي: قسمين وشقَّين[5].

وقال الزمخشري[6]: التشديد فيه للتعدية والباءُ مزيدة للتوكيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥] في قراءة، وهي مبالغة في «وَسَطْن» وجوّز أن يكون قُلِبَ ثوَّرن إلى وثَّرن، ثم قُلبت الواو همزةً، فالمعنى على ما مرَّ، وهو تمحُّل مستغنًى عنه.

وعن السديِّ ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير أنهم قالوا: «العاديات» هي الإبل

---

(١) في (م): ترتيب. وهو تصحيف.
(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ١٩٠-١٩١.
(٣) القراءات الشاذة ص١٧٨، والمحتسب ٢/ ٣٧٠، والبحر ٨/ ٥٠٤. والكلام منه.
(٤) المصادر السابقة.
(٥) المحتسب ٢/ ٣٧٠.
(٦) في الكشاف ٤/ ٢٧٨.

تَعدُو ضَبْحاً من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى. ونسب إلى عليٍّ كرم الله تعالى وجهه؛ فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب «الأضداد» وابن مردويه والحاكم وصحَّحه عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالس إذ أتاني رجلٌ فسألني عن: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾؟ فقلتُ: الخيل حين تُغِير في سبيل الله تعالى ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامَهم ويُورُون نارَهم. فانفتل عني فذهب إلي عليِّ بن أبي طالب ﷺ وهو جالس تحت سقاية زمزم، فسأله عن: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾؟ فقال: سألتَ عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألتُ عنها ابنَ عباس. فقال: هي الخيل حين تُغير في سبيل الله تعالى. فقال: اذهب فادْعه لي. فلمَّا وقفتُ على رأسه قال: تُفتي الناسَ بما لا علمَ لك به، والله إن كانت لأوَّلَ غزوة في الإسلام بدرٌ[1]، وما كان معنا إلا فَرَسان، فرسٌ للزبير ﷺ وفرسٌ للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات ضبحاً؟! إنما العاديات ضبحاً الإبل تعدو من عرفة إلى المزدلفة، فإذا آوَوْا إلى المزدلفة أَوْرَوا النيرانَ، والمغيرات صبحاً من المزدلفة إلى منى فذلك جمعٌ، وأما قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ فهو نقْعُ الأرض حين تَطؤها بخِفافها. قال ابن عباس: فنزعتُ عن قولي إلى قول عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه ورضي الله عنه[2].

واستشكل ردُّه كرم الله تعالى وجهه كونَ المراد بها الخيلَ بما كان من أمر غزوة بدر بأنَّ ابنَ عباس لم يَدَّعِ أنَّ «أل» في «العاديات» للعهد، وأنها إشارةٌ إلى عاديات بدر، ولا أنَّ السورة نزلت في شأن تلك الغزوة ليلزم تحقُّق ذلك فيها ودخولُها تحتَ العموم، بل ظاهرُ كلامه حملُ ذلك على جنس الخيل التي تعدو في سبيل الله عز وجل. وإن حُملت على العهد، وقيل: إن المعهود هو الخيلُ التي بعثها عليه الصلاة والسلام للغزو على ما سمعتَ صدرَ السورة، وكذا على ما رُوي من أنه عليه الصلاة والسلام بعث إلى أناس من بني كنانة سريةً واستعمل عليها المنذرَ بن

---

(١) في (م): لبدر.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٣-٥٧٤، والأضداد ص٣٦٤-٣٦٣، والمستدرك ٢/ ١٠٥. وعزاه لابن مردويه وابن أبي حاتم السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٣. وهو من طريق أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وسيأتي الكلام على هذا الإسناد قريباً.

عمرو الأنصاريَّ وكان أحد النقباء، فأبطأ عليه ﷺ خَبَرُها شهراً، فقال المنافقون: إنَّهم قُتِلوا. فنزلت السُّورة إخباراً له عليه الصلاة والسلام بسلامتها وبشارةً له ﷺ بإغارتها على القوم[١] = لم يَبْعُد.

وأجيب بأنه كرم الله تعالى وجهه أراد أنَّ غزوة بدر هي أفضلُ غزوات الإسلام، وبدرُها الذي ليس فيه انثلامٌ، ولم يكن فيها ما يصحُّ أن يكون مصداقاً لهذه الآية على ذلك التأويل، وما غيرها من الغزوات بالنسبة إليها حتى يكون حريًّا بمثل هذا التعظيم والتبجيل[٢]؟ فيتعيَّن أن لا يكون المراد ذلك، ويُسلك في الآية ما يناسبها من المسالك.

ولا يخفى أن هذا الجواب لا يتحمَّل ـ لمزيدِ ضَعْفِه ـ الإغارةَ عليه وإطلاقَ أعنَّةِ عادياتِ الأفكار إليه، والأحرى أنَّ الخبر لا صحَّة له، وتصحيحُ الحاكم محكومٌ عليه عند أهل الأثر بكثرة التساهل فيه، وأنه غيرُ معتبَرٍ[٣]. ثم إنَّ النقلَ عنه ﷺ في المراد بالعاديات متعارضٌ، فما تقدَّم أنه إبل الحُجَّاج، ونقل صاحب «التأويلات» أنه كرَّم الله تعالى وجهَه فسَّرها بإبل بدر، وأنَّ ابنَ مسعود هو الذي فسَّرها بإبل الحُجَّاج[٤].

ويرجِّح إرادةَ الخيل أنَّ إثارة النقع فيها أظهرُ منها في الإبل.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢، وأسباب النزول للواحدي ص٤٩٨، وزاد المسير ٩/ ٢٠٧، وعزوه لمقاتل. وأورده ابن الأثير في أسد الغابة ٥/ ١٧٨، والحافظ في الإصابة ٩/ ٢٠٧ عن مقاتل أيضاً، لكن فيه أن الأمير على السرية هو المسيّب بن عمرو.

(٢) قوله: ولم يكن فيها ما يصح. . . إلى هنا ساقط من (م).

(٣) قال الحاكم في المستدرك ٢/ ١٠٥ عقب حديث علي ﷺ: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد احتجا بأبي صخر وهو حميد بن زياد الخراط المصري، وبأبي معاوية البجلي، وهو والد عمار بن أبي معاوية الدهني الكوفي. اهـ. فتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: لا والله، ولا ذكر لأبي معاوية في الكتب الستة، ولا احتج البخاري بأبي صخر، والخبر منكر. وقال في الميزان ٤/ ٥٧٥: أبو معاوية البجلي، يقال: هو والد عمار الدهني، فيه جهالة، روى عنه أبو صخر حميد بن زياد وآخر.

(٤) جاء في تأويلات أهل السنة ٥/ ٥٠٨: قال علي كرم الله وجهه وعبد الله ﷺ: هي الإبل. غير أن عليًّا ﷺ قال: ذلك يوم بدر، وقال ابن مسعود ﷺ ذلك. اهـ. كذا فيه، ولعل في المطبوع سقطاً. وأخرج الطبري عن ابن مسعود أنه قال: هي الإبل. وفي رواية قال: هو في الحج. تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٤.

ثم إنَّ ذلك الخبر يقتضي أنَّ المقسَمَ[١] به نوعان: الخيلُ أو الإبلُ، وجماعةُ الغزاةِ أو الحُجَّاج الموقدةُ ناراً لطعامها أو نحوه، وفي بعض الآثار عن ابن عباس ما هو أصرح مما تقدَّم في تفسير «الموريات» بما يُغايِر «العاديات» بالذات، ففي «البحر» عنه أنَّها الجماعة التي تُوري نارَها بالليل لحاجتها وطعامها. وفي رواية أخرى عنه: تلك جماعةُ الغزاة تُكثِر النارَ إرهاباً[٢].

ورُويت المغايرةُ عن آخرين أيضاً، فعن مجاهد وزيد بن أسلم وهي رواية أخرى عن ابن عباس: هي الجماعة تمكر في الحرب[٣]، فالعرب تقول إذا أرادت المكر بالرجل: والله لأُورِيَنَّ له.

ومن الغريب ما روي عن عكرمة أنها ألسنةُ الرجال، تُوري النارَ من عظيم ما تتكلَّم به وتظهر من الحُجَج والدلائل وإظهار الحقِّ وإبطال الباطل[٤]. وهو كما ترى.

❁ ❁ ❁

ومن البطون والإشارات أن يكون المقسَمُ به النفوسَ العادِيَة إثْر كمالهنَّ، «الموريات» بأفكارهنَّ أنوارَ المعارف، و«المغيرات» على الهوى، و«العاديات»[٥] إذا ظهر لهنَّ مثل أنوار القدس، «فأَثَرْنَ به» شوقاً، «فوسطن» بذلك الشوق «جمعاً» من جموع العلِّيين.

ومثله ما قيل: إنَّ ذلك قَسَمٌ بالهِمَم القالبية التي تعدو في سبيل الله تعالى خارجاً من جوف اشتياقها صوتُ الدعاء من شدَّة العدْو وغايةِ الشوق، بحيث يَسمَع الروحانيُّون ضجيجَ دعائها وتضرُّعِها والتماسِها تسهيلَ سلوك الطريق الوعرِ الذي يتعلَّق بجبال القالَب، «الموريات» بحوافر الذكر نارَ الهداية المستكنَّة في حجر القالب وقتَ تخمير اللطيفة، و«المغيراتِ» بعدَ سلوكها في جبال القالب الراسيةَ في

(١) في (م): للقسم. وهو تصحيف.
(٢) البحر ٨/ ٥٠٣، والنكت والعيون ٦/ ٤٢٤.
(٣) أخرج هذه الرواية عن ابن عباس ومجاهد الطبريُّ في تفسيره ٢٤/ ٥٧٧.
(٤) زاد المسير ٩/ ٢٠٨، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٧ مختصراً.
(٥) في الأصل و(م): والعادات، والمثبت من تفسير البيضاوي ٨/ ٣٩١، والكلام منه.

ظلام الليل القالبيِّ، وعبورِها عنها إلى أفق عالم النفس وتنفُّسِ صُبح النَّفَس، على الخواطر النفسية وشؤونها، فهيَّجْنَ بذلك الجري غبارَ الخواطر وأثَرْنه لئلا يختفي خاطرٌ من الخواطر، «فوَسَطْن» بذلك «جمعاً» من جنود القُوى القلبية وحزبِ الخواطر الذكرية التي هي حزب الرحمن في وسط عالم النفس.

ولهم في هذا الباب غير ذلك.

❁ ❁ ❁

وأيّاما كان فالمقسمَ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ أي: لكفورٌ جحودٌ، من كَنَدَ النعمة: كَفَرَها ولم يشكرها، وأنشدوا:

كَنودٌ لنعماءِ الرِّجال ومَن يكُنْ كَنوداً لنعماء الرجال يُبَعَّدِ[(١)]

وعن ابن عباس ومقاتل: الكَنُود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور، وبلسان كنانة: البخيلُ السيِّئُ المَلَكَة، ومنه الأرضُ الكَنُود التي لا تُنبِت شيئاً[(٢)].

وقال الكلبيُّ نحوه، إلا أنه قال: وبلسان بني مالك البخيلُ. ولم يذكر حضرَموت بل اقتصر على كندة[(٣)].

وتفسيره بالكفور هنا مرويٌّ عن ابن عباس والحسن[(٤)]، وأخرجه ابن عساكر عن أبي أمامة مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ[(٥)].

وفي رواية أخرى عن الحسن أنه قال: هو اللائم لربِّه عز وجل، يعدُّ السيئات وينسى الحسنات[(٦)]. وقال الفضيل: هو الذي تُنسيه سيئةٌ واحدة حسناتٍ كثيرة،

---

(١) البيت في تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٧، والبحر ٨/ ٥٠٣، والدر المصون ١١/ ٨٩، واللباب ٢٠/ ٤٦٤.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٣٧، والبحر ٨/ ٥٠٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٧٨، والبحر ٨/ ٥٠٣.

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٨٤-٥٨٥.

(٥) عزاه لابن عساكر السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٤ وينظر ما سيرد قريباً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٧٨.

ويعامل الله تعالى على عَقْدِ عِوَضٍ.

وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائبات مع قومه[(١)]. وإرادته هنا غير ظاهرة[(٢)].

وروى الطبراني وغيره بسند ضعيف عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الكنود»؟ قالوا: الله تعالى ورسوله أعلم. قال: «هو الكفور الذي يضرب عبدَه ويمنع رِفْدَه ويأكل وحده»[(٣)].

وأخرج البخاري فى «الأدب المفرد» والحكيم الترمذي وغيرُهما تفسيرَه بالذي يمنع رِفْدَه، وينزل وحدَه، ويضرب عبدَه، موقوفاً على أبي أمامة[(٤)].

وأخرج البيهقي في «الشعب» عن قتادة والحسن أنهما قالا: الكَنود: الكَفورُ للنعمة، البخيلُ بما أُعطي، الذي يَمْنَعُ رِفدَه، ويُجيع عبدَه، ويأكل وحدَه، ولا يُعطي لنائبةٍ تكون في قومه. ولا يكون كَنُوداً حتى تكون هذه الخِصالُ فيه[(٥)].

والجمهور على تفسيره بالكَفُوْر، وكلٌّ مما ذُكر لا يخلو عن كفران، والكفرانُ المبالَغُ فيه يجمع صُنوفاً منه.

و«أل» في «الإنسان» للجنس، والحكم عليه بما ذُكر باعتبار بعض الأفراد.

---

(١) قول الفضيل وعطاء في تفسير البغوي ٤/ ٥١٨، والبحر ٨/ ٥٠٤-٥٠٥، والكلام منه.

(٢) الكلام من: وقال الفضيل.... إلى هنا ساقط من (م).

(٣) المعجم الكبير (٧٩٥٨)، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٦، والمجروحين لابن حبان ١/ ٢١٢. وهو من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة به. وجعفر بن الزبير متروك، وقال ابن حبان: روى عنه القاسم نسخة موضوعة. وذكر منها هذا الحديث.

(٤) الأدب المفرد (١٦٠)، ونوادر الأصول ص ٢٦٧، وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٨٧.

(٥) الدر المنثور ٦/ ٣٨٥، والذي في مطبوع شعب الإيمان (٤٦٢٨) أنَّ تفسير «كنود» بالكفور هو من قول قتادة والحسن ﷺ، وأما الكلام الذي بعده فهو فيه من قول الكلبي، وهو الأشبه؛ لأنه قد روي تفسير «كَنود» بالكَفور من قول قتادة والحسن دون أن تذكر تلك الزيادة فيه. ينظر تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٩١، وتفسير الطبري ٢/ ٣٩١، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٥، وزاد المسير ٩/ ٢١١.

وقيل: المراد به كافرٌ معيَّن؛ رُوي عن ابن عباس أنها نزلت في قُرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشيِّ[1]، وأيِّد بقوله تعالى بعدُ: (أَفَلَا يَعْلَمُ) إلخ؛ لأنه لا يليق إلا بالكافر. وفي الأمرين نظرٌ.

وقيل: المراد به كلُّ الناس، على معنى أنَّ طبعَ الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من ذلك. واختاره عصام الدين، وقال: فيه مدحٌ للغُزاة لسَعْيهم على خلاف طبعهم.

و«لربِّه» متعلِّقٌ بـ «كنود»، واللامُ غيرُ مانعةٍ من ذلك، وقدِّم للفاصلة مع كونه أهمَّ من حيث إنَّ الذمَّ البالغ إنَّما هو على كُنُود نعمتِه عز وجل. وقيل: للتخصيص على سبيل المبالغة.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسان، كما قال الحسن ومحمد بن كعب ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: على كُنُوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ لظهور أثره عليه، فالشهادةُ بلسان الحال الذي هو أفصحُ من لسان المقال. وقيل: هي بلسان المقال لكن فى الآخرة.

وقيل: «شهيد» من الشهود لا من الشهادة، بمعنى أنه كَفورٌ مع علمه بكفرانه، وعَمَلُ السوء مع العلم به غايةُ المذمَّة. والظاهر الأول.

وقال ابن عباس وقتادة: ضميرُ «إنَّه» عائدٌ على الله تعالى، أي: وإنَّ ربَّه سبحانه شاهدٌ عليه، فيكون الكلام على سبيل الوعيد، واختاره التبريزيُّ فقال: هو الأصح؛ لأنَّ الضميرَ يجب عودُه إلى أقرب مذكورٍ قبله[2].

وفيه أنَّ الوجوبَ ممنوعٌ، واتساقُ الضمائر وعدمُ تفكيكها يرجِّح الأولَ، فإنَّ الضمير السابق ـ أعني ضميرَ «لربه» ـ للإنسان ضرورةً، وكذا الضميرُ اللاحقُ أعني الضميرَ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المالِ، وورد بهذا المعنى في

---

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٧، وهو في تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣، وزاد المسير ٩/ ٢٠٩ عن مقاتل.
(٢) نقله المصنف من البحر ٨/ ٥٠٥.

القرآن كثيراً حتى زعم عكرمة أنَّ «الخيرَ» حيث وقع في القرآن هو المالُ[١]، وخصَّه بعضهم بالمال الكثير، وفسِّر به في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠].

وإطلاقُ كونه «خيراً» باعتبار ما يراه الناس، وإلا فمنه ما هو شرٌّ يومَ القيامة.

واللامُ للتعليل، أي: إنه لأجل حبِّ المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لبخيلٌ، كما قيل. وكما يقال للبخيل: شديدٌ، يقال له: متشدِّدٌ، كما في قول طرفة:

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ ويَصْطفي عَقِيلةَ مالِ الفاحش المتشدِّدِ[٢]

وشديدٌ فيه[٣] يجوز أن يكون بمعنى مفعول، كأنَّ البخيلَ شُدَّ عن الإفضال. ويجوز أن يكون بمعنى فاعل، كأنَّه شَدَّ صرَّتَه فلا يُخرج منها شيئاً.

وجوَّز غيرُ واحد أن يراد بالشديد القويُّ، ولعله الأظهر. وكأنَّ اللامَ عليه بمعنى «في»، أي: وإنَّه لقويٌّ مبالغ في حُبِّ المال، والمراد قوةُ حبِّه له. وقال الزمخشري: المعنى: وإنَّه لحبِّ المال وإيثارِ الدنيا وطلبها قويٌّ مُطيق، وهو لحبِّ عبادة الله تعالى وشُكر نعمته سبحانه ضعيفٌ مُتقاعِس؛ تقول: هو شديدٌ لهذا الأمر وقويٌّ له: إذا كان مُطيقاً له ضابطاً[٤].

وجعل النيسابوريُّ[٥] اللامَ على هذا التعليل، وليس بظاهر. فتأمَّل.

وقال الفراء: يجوز أن يكون المعنى: وإنه لحبِّ الخير لشديدُ الحبِّ، يعني:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥، وهو في البحر ٨/ ٥٠٥ عن قتادة. وأخرجه الطبري ٣/ ١٣٥ عن مجاهد.

(٢) ديوان طرفة ص٣٤. والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٤٠، والبحر ٨/ ٥٠٥، وفي تفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٨: النفوس. بدل: الكرام. قال النحاس في شرح المعلقات ١/ ٨٣: يعتام: يختار. ويصطفي: يأخذ صفوته وهو خيرته. وعقيلة المال: أكرمه وأنفسه عند أهله.

(٣) قوله: فيه، أي: في البخيل.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٧٩.

(٥) في غرائب القرآن ٣٠/ ١٦٢.

إنه يحبُّ المالَ ويحبُّ كونَه محِبًّا له، إلا أنه اكتفي بالحبِّ الأول عن الثاني كما قال تعالى: ﴿ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ [إبراهيم: ١٨] أي: في يومٍ عاصف الريح، فاكتفي بالأولى عن الثانية(١).

وقال قطرب: أي: إنه شديدٌ لحبِّ الخير، كقولك: إنَّه لزيدٍ ضَروبٌ، في: إنه ضَروبٌ لزيدٍ(٢).

وظاهر التمثيل أنَّه اعتبر «حُبّ الخير» مفعولاً به لـ «شديد»، وأنَّ «شديد» اسمُ فاعل جيء به على فعيل للمبالغة، وأنَّ اللام في «لحبِّ» للتقوية. وفيه ما فيه. وقيل: يجوز أن يعتبر أنَّ شديداً صفةٌ مشبهةٌ كانت مضافةً إلى مرفوعها وهو «حبُّ» المضاف إلى «الخير» إضافةَ المصدر إلى مفعوله، ثم حوِّل الإسنادُ وانتصب المرفوعُ على التشبيه بالمفعول به، ثم قدِّم وجُرَّ باللام. وفيه ـ مع قطع النظر عن التكلُّف ـ أنَّ تقدُّم معمول الصفة عليها لا يجوز، وكونه مجروراً في مثل ذلك لا يُجدي نفعاً، إذ ليس هو فيه نحوَ: زيدٌ بك فَرِح، كما لا يخفى.

وجوَّز ابن عطية(٣) أن يرادَ بالخير الخيرُ الدنياويُّ من مالٍ وصحة وجاهٍ عند الملوك، ونحوِ ذلك ممَّا يَعُدُّه الجهَّالُ خيراً، والمعنى على نحوِ ما سمعتَ عن الزمخشري(٤). ويُفهم من كلامه في «الكشاف» جوازُ أن يراد به ما هو عنده تعالى من الطاعات، على أنَّ المعنى: إنه لحبِّ الخيراتِ غيرُ هشٍّ منبسطٍ ولكنَّه شديدٌ منقبضٌ(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩﴾ إلخ تهديدٌ ووعيدٌ، والهمزة للإنكار، والفاءُ للعطف على مقدَّر يقتضيه المقامُ، ومفعول «يَعْلَم» محذوفٌ، وهو

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) ذكره عن قطرب الرازيُّ في تفسيره ٣٢/ ٦٨ بلفظ: أي: إنه شديدُ حبِّ الخير، كقولك: إنه لزيدٍ ضروبٌ، أي: إنه ضروبُ زيدٍ. ومثله في تفسير النيسابوري ٣٠/ ١٦٢.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

(٤) قوله: وجوز ابن عطية... إلى هنا ليست في (م)، وضرب عليه في النعمانية (ب).

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٩.

العامل في «إذا»، وهي ظرفية، أي: أيفعل ما يفعل من القبائح، أو: ألا يلاحِظ فلا يعلم الآنَ مآلَه إذا بُعثِر مَن في القبور مِن الموتى؟! وإيرادُ «ما» لكونهم إذ ذاك بمعزلٍ من رتبة العقلاء.

وقال الحوفي: العاملُ في «إذا» الظرفيةِ «يَعْلم»[1].

وأُورِد عليه أنه لا يُراد به العلم في ذلك الوقت، بل العلم في الدنيا.

وأجيب بأنَّ هذا إنما يَرِد إذا كان ضمير «يعلم» راجعاً إلى «الإنسان»، وذلك غيرُ لازم على هذا القول؛ لجواز أن يرجع إليه عز وجل، ويكون مفعولا «يعلم» محذوفَينِ، والتقدير: أفلا يَعْلَمهم الله تعالى عاملين بما عملوا إذا بُعثر؟ على أن تكون العلمُ كنايةً عن المُجازاة، والمعنى: أفلا يجازيهم إذا بُعثر؟ وتكون الجملة المؤكَّدة بعدُ تحقيقاً وتقريراً لهذا المعنى. وهو كما ترى.

وقيل: إنَّ «إذا» مفعولٌ به لـ «يَعْلم» على معنى: أفلا يعلم ذلك الوقتَ ويعرف تحقُّقَه.

وقيل: إنَّ العامل فيها «بُعثر» بناءً على أنَّها شرطيةٌ غيرُ مضافة. وقيل: ما دلَّ عليه خبر «إنَّ»، أي: أفلا يعلم إذا بعثر الموتى جُوْزُوا. والجملة الشرطية سادَّةٌ مسدَّ مفعولَي «يَعْلم»[2].

قالوا: ولم يجوَّز أن يعمل فيها «لخبير» لأنَّ ما بعد «إنَّ» لا يعمل فيما قبلها.

وأوجَهُ الأوجُه ما قدَّمناه، وتعدِّي العلم ـ إذا كان بمعنى المعرفة ـ لواحد شائعٌ، وتقدَّم تحقيقُ معنى البعثرة فتذكَّر[3].

وقرأ عبد الله: «بُحْثِر» بالحاء والثاء المثلثةِ[4].

---

(١) البحر ٨/ ٥٠٥.
(٢) الكلام من: وقيل: ما دلَّ عليه... إلى هنا ليس في (م)، وضرب عليه في النسخة النعمانية.
(٣) ينظر ٣٠/ ٦٣.
(٤) القراءات الشاذة ص١٧٨، والبحر ٨/ ٥٠٥. ونُسب إلى مصحفه: «بُحِث»، كما في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٥.

وقرأ الأسود بن يزيد: «بُحِثَ» بهما بدون راء(١).

وقرأ نصر بن عاصم: «بَحْثَرَ» كقراءة عبد الله، لكن بالبناء للفاعل(٢).

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ أي: جُمع ما في القلوب من العزائم المصمَّمة وأُظهر كإظهار اللُّبِّ من القشر وجَمْعِه، أو: ميِّز خيرُه من شرِّه، فقد استُعمِل: حصَّل الشيءَ، بمعنى: ميَّزه من غيره، كما في «البحر»(٣).

وأصل التحصيل إخراجُ اللُّبِّ من القشر كإخراج الذهب من حَجَر المعدن والبُرِّ من التبن.

وتخصيصُ ما في القلوب لأنه الأصل لأعمال الجوارح، ولذا كانت الأعمال بالنيات، وكان أول الفكر آخر العمل، فجميعُ ما عَمِل تابعٌ له، فيدلُّ على الجميع صريحاً وكنايةً.

وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبي معدان: «وحَصَّلَ» مبنيًّا للفاعل، وهو ضميره عز وجل.

وقرأ ابن يعمر ونصر أيضاً: «حَصَلَ» مبنيًّا للفاعل خفيفَ الصاد(٤)، فـ «ما» عليه هو الفاعل.

﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾ أي: المبعوثين، كني عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبِّر عنهم قبل ذلك بـ «ما» بناءً على تفاوُتهم في الحالين.

﴿بِهِمْ﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذ يكون ما عُدَّ مِن بَعْثِ ما في القبور وتحصيلِ ما في الصدور، والظرفان متعلِّقان بقوله تعالى: ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ أي: عالِمٌ بظواهر ما عملوا وبواطنه علماً مُوجباً للجزاء متَّصلاً

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٨، والبحر ٨/ ٥٠٥، والدر المصون ١١/ ٩١، ووقع في الأصل و(م) ومطبوع البحر: زيد، بدل: يزيد، وهو تصحيف.
(٢) البحر ٨/ ٥٠٥، وهي في القراءات الشاذة ص ٧٨١ بالعين بدل الحاء.
(٣) ٨/ ٥٠٨.
(٤) القراءتان في القراءات الشاذة ص١٧٨، والبحر ٨/ ٥٠٥.

به، كما ينبئ عنه تقييدُه بذلك اليوم، وإلا فمطلَقُ علمه عز وجل بما كان وما سيكون.

وقرأ أبو السمال والحجاج: «أنَّ ربهم بهم يومئذٍ خبيرٌ» بفتح همزة «أنَّ» وإسقاط لام التأكيد[1]، فـ «أنَّ» وما بعدها في تأويل مصدرٍ معمولٍ لـ «يعلم» على ما استظهره بعضهم[2]، وأيِّد به كون «يعلم» معلَّقةً عن العمل في: ﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾ إلخ على قراءة الجمهور لمكان اللام، و«إذا» على هذا لا يجوز تعلُّقها بـ «خبير» أيضاً؛ لكونه في صلة «أنَّ» المصدرية، فلا يتقدَّم معمولُه عليها. ويُعلم أمره مما تقدَّم.

وقيل: الكلام على تقدير لام التعليل وهي متعلِّقة بـ «حُصِّل»، كأنه قيل: وحُصِّل ما في الصدور لأنَّ ربَّهم بهم يومئذ خبيرٌ. والأول أظهر. والله تعالى أعلم وأخبر.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٨، والبحر ٨/ ٥٠٥.

(٢) هو أبو حيان في البحر ٨/ ٥٠٥.

(سورة العاديات)

(مُختَلَفٌ فيها، وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)﴾

﴿(وَالْعَادِيَاتِ) ضَبْحًا (١)﴾ أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون. وعن ابن عباس ﵄ أنه حكاه فقال: أح أح. **(وانتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ على يضبحن)** ضبحًا ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ تورى **(نار الحباحب)** وهي ما ينقدح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة العاديات، مُختَلَفٌ فيها) فقيل: إنها مكيّة ونسب إلى ابن مسعود وجابر والحسن وعطاء وعكرمة، وقيل: إنها مدنيّة ونسب إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما **(وهي إحدى عشرة آية)** وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفًا. **قوله: (﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾)** جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء التي فيها منقلبة عن الواو لكسر ما قبلها لأنها من العدو كالغازيات من الغزو. **قوله: (وانتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ على يضبحن)** أي على تقدير فعل من لفظه وهو مفعوله المطلق. **قوله: (نار الحباحب)** في لسان العرب قال الكلبيّ: كان الحُباحِبُ رجلًا من أحياء العرب وكان من أبخل الناس فبخل حتى بلَغ به البخل أنه كان لا يوقد نارًا بليل فإن أوقد وانتبه متنبّه ليقتبس منها أطفأها

من حوافرها ﴿قَدْحًا﴾ قادحات صاكات بحوافرها الحجارة، والقدح: (**الصك**)، والإيراء: إخراج النار، تقول: قدح فأورى وقدح (**فأصلد**). وانتصب ﴿قَدْحًا﴾ بما انتصب به ﴿صَبْحًا﴾.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تغير على العدو ﴿صُبْحًا﴾ في وقت الصبح ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ فهيجن بذلك الوقت غبارًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ بذلك الوقت ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء ووسطه بمعنىٰ توسطه. وقيل: الضمير لمكان الغارة أو للعدو الذي دلّ عليه. ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ وعطف ﴿فَأَثَرْنَ﴾ على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنىٰ واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن. وجواب القسم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ لكفور أي إنه لنعمة ربه خصوصًا لشديد الكفران ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ على كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ (**يشهد على نفسه**)، أو وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ وإنه لأجل حب المال (**لبخيل ممسك**)، أو إنه لحب المال (**لقوي**) وهو لحب عبادة الله ضعيف.

فكذلك ما أورت الخيل بحوافرها لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار الحُباحِب. اهـ. **قوله**: (**الصك**) في مختار الصحاح صكّه ضربه وبابه رد. اهـ. **قوله**: (**فأصلد**) في مختار الصحاح صَلَدَ الزند من باب جلس إذا صوّت ولم يخرج نارًا وأصلد الرجل إذا صلد زنده. اهـ. وأيضًا فيه الزند العود الذي تقدح به النار وهو الأعلى والزَّندة السفلى فيها ثقب وهي الأنثى فإذا اجتمعا قيل: زندان ولم يقل زندتان. اهـ.

قوله: (**يشهد على نفسه**) ليس المراد بشهادة الإنسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فإن آثار الكنود تظهر عليه بحيث لا يمكنه أن يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه شهد بذلك على نفسه.

قوله: (**لبخيل ممسك**) تفسير ﴿لَشَدِيدٌ﴾ مجازًا إذ البخل وهو إمساك المال فيما يجب بذله ويحسن بذله مروءة من لوازم شدة الخلق المذموم. **قوله**: (**لقوي**)

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ بعث ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من الموتى و«ما» بمعنى «من» ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ ميّز ما فيها من الخير والشر (﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر، وخصّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذٍ والله أعلم.

تفسير ﴿لَشَدِيدٌ﴾ حقيقة. **قوله**: (﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾) كسر إن مع أنه في حيز مفعول يعلم لوجود اللام في خبرها كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: الآية ١].

تمّت سورة العاديات والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين